مجلة الجامعة الإسلامية – المجلد الحادي عشر – العدد الثاني ، ص232 –ص276، 2003م

موقف الفيلسوف ابن سينا من النبوة والأنبياء
عرض ونقض

صالح حسين الرقب*

كلية أصول الدين– الجامعة الإسلامية– غزة

ص.ب : 108 ، غـــــزة– فلسطيـــن

DEALS WITH THE CREED OF IBN SEINA IN PROPHETHOOD AND PROPHETS WITH DISCUSSION FOR HIM

ملخص: يتناول هذا البحث بيان عقيدة ابن سينا في النبوة والأنبيـــاء مـــع مناقشـــته، وكشف ضلالاته ومعتقداته الباطلة فيها، وذلك في المطالب التاليـــة: تعريـــف الرســـول والرسالة، معنى الوحي وصلته بنظرية الفيض الأفلاطونيـــة، كـــون النبـــوة ضـــرورية وواجبة عقلاً على الله تعالى، وإن النبوة مكتسبة وليست اصطفاء ربانياً، والمنامات هي العمدة في إثبات النبوة، وتفضيل الملائكة على الأنبياء، وخصائص النبوة والقوى الثلاث التي يتصف بها النبي. وإن ما جاءت به الأنبياء من أخبار اليـــوم الآخـــر مـــن البعـــث والنشور، والنعيم (الجنة) والعذاب (النار) ما هي إلا أخيلة ورمـــوز وإشـــارات بقصـــد تفهيم الجمهور فقط، وليست حقائق وأعياناً.

Abstract This research deals with the Creed of Ibn Seina in Prophethood & Prophets with discussion for him, and un viling unviling (revealing) his stray and vain creeds in the following demands:

The meaning of message & prophet, the meaning of inspiration and its connection with (Al-Faydh) theory of Plato, although Allah must send a prophet by mind, and prophethood gained without God selecftion.

Dreams are the basis of prophets evidence and preferring angels over the prophets, characteristics of prophethood and the three powers which must be in prophet. The prophet news about the last day, the day of destruction & construction, blessings (paradise) and hill (fire) all that are only imaginations, symbols and signs to make the people only understand without facts.

---

* أستاذ مشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة .

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شــرور أنفسـنا ومــن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أنّ لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمد عبده ورسوله. وبعد...

فيعدّ الفيلسوف الشيخ الرئيس الحسين بن عبد الله بن سينا أحد كبــار الفلاســفة الإسلاميين الذين درسوا الفلسفة اليونانية وتأثروا بها إلى حــدّ كبيــر، بــل واعتمــدوها موضوعاً ومنهجاً، وتعصّبوا لكبار الفلاسفة اليونان أمثال أرسطو، وأفلاطون، وأفلوطين، واستبدل هؤلاء الفلاسفة الوحي بالعقل المجرد، وزعموا أنّ العقل وحده يعطــي حقــائق الأشياء، أمّا الوحي فيعطي عنها تخيلاً وتمثيلاً. ولقد حاول ابن سينا التوفيق بين الفلســفة والدين في المسائل الاعتقادية، ولكنه لم يستطع، لأنّه يستحيل التوفيق بين العقيدة الربانيــة الثابتة بالوحي، والفلسفة الوثنية التي تعتمد على التأمل العقلي المجرد والــرأي والهــوى والخيال، وهي من نتاج الفكر البشري المحدود. ومن هنا وقع ابن سينا في مجموعة مــن المتناقضات والأغاليط، لقد أوقعته فلسفته في الخروج الصريح عن الدين الإسلامي، ممّــا جعل جمع من أهل العلم يذهبون إلى تكفيره، والحكم عليه بالزندقة والإلحاد.

وفي اعتقادي أنّ المسلم اليوم بحاجة ماسّة إلى تقويم منهج هــؤلاء الفلاســفة – ومنهم ابن سينا– وتمحيص أفكارهم، وكشف باطلها وبيانات آثارها الســلبية.خاصــة إذا علمنا أنّ لهؤلاء مكانة في كثير من الجامعات والمعاهد العلمية فــي بعــض دول العــالم الإسلامي.وأنّ نتاجهم العلمي ما زال مكان الصدارة في تلك الجامعات والمعاهد.

ولمّا كانت عقيدة النبوة من القضايا الاعتقادية التي حاول ابن سينا أن يوفق فيهــا بين الفلسفة اليونانية والدين الإسلامي. فأحببت أن اكتب فيها بحثاً، أقف من خلالــه علــى جهده في ذلك، ومن ثمّ نقده في ضوء مذهب أهل السنة والجماعة.

منهج البحث

اعتمد الباحث المنهج الوصفي والتحليلي، ثم النقدي، وذلك بجمع أقوال ابن ســينا وآرائه في القضية موضوع البحث، ثمّ محاولة تحليلها، ومناقشــتها ونقــدها، ومــن ثــمّ الوصول إلى النتائج المرجوة، ولقد تناولت في هذا البحث معظم مباحث النبوة، بيّنت فيها

أقوال ابن سينا وآراءه، ثمّ ناقشته في ذلك، كاشفاً عمّا فيها من الفساد، ومبيناً الاعتقاد الحق المستفاد من الكتاب والسنة، معتمداً على الأدلة الشرعية الصحيحة، وعلى أقوال علماء أهل السنة والجماعة.

وقد قسّمت البحث إلى مقدمة وتمهيد، وتسعة مطالب، وخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي استخلصتها من هذا البحث.

مصادر البحث

اعتمد الباحث على مؤلفات ابن سينا، ومؤلفات علماء السلف، وغيرها من المصادر المتوفرة بين يديه.

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا الجهد المتواضع خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به إخواننا المسلمين...وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.....والله نسأل السداد والتوفيق.

تمهيد: التعريف بالفيلسوف ابن سينا

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا،ينتمي إلى الطائفة الإسماعيلية، ذكر يحي بن أحمد الكاشي قول ابن سينا عن نفسه فقال :" وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين ويعدّ من الإسماعيلية، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم وكذلك أخي، وكانوا ربّما تذاكروا ذلك، وأنا أسمع وأدرك ما يقولونه، ولا تقبله نفسي، وابتدعوا يدعونني إليه".([1])

كان ابن سينا عالماً وفيلسوفاً وطبيباً وشاعراً، ولُقِّب بالشيخ الرئيس والمعلم الثالث بعد أرسطو والفارابي، كما عرف بأمير الأطباء وأرسطو الإسلام،ولد ابن سينا في قرية (أفشنة) الفارسية في صفر من سنة 370 هـ. ثم انتقل به أهله إلى بخارى، وفيها تعمّق في العلوم المتنوعة من فقه وفلسفة وطب، وبقي في تلك المدينة حتى بلوغه العشرين. ثم انتقل إلى خوارزم، حيث مكث نحواً من عشر سنوات(392-402 هـ)، ومنها إلى جرجان، فإلى الرّي. وبعد ذلك رحل إلى همذان وبقي فيها تسع سنوات، ومن ثم دخل في خدمة علاء الدولة بأصفهان. وهكذا أمضى حياته متنقلاً حتى وفاته في همذان، في شهر شعبان سنة 428هـ.

ومن أساتذته: أبو بكر أحمد بن محمد البرقي الخوارزمي، وقد تلقى على يديه علوم اللغة، ودرس الفقه على يد أستاذه إسماعيل الزاهد، وعلوم الفلسفة والمنطق على أبـــي عبـــد الله الناتلي، وتتلمذ ابن سينا على كتب الفيلسوف أبي نصر الفارابي،وكتب الفيلسوف اليونـــاني أرسطو.

أمّا مؤلفاتـــه فكثيرة، ومنها: 1- الشفاء في أربعة أقسام هـــي: المنطـــق، الرياضـــيات، الطبيعيات، الإلهيات 2- النجاة 3- الإشارات و التنبيهات 4- القانون في الطب4-منطق المشرفين 5- رسالة في ماهية العشق6- أسباب حـــدوث الحـــروف7- مجموعـــة مـــن الرسائل منها: رسالة في الحدود، رسالة في أقسام العلوم العقليـــة، رســـالة فـــي إثبـــات النبوات8- رسالة حي بن يقظان 9-رسالة أضحوية في أمر المعاد.

وقد كفّر جمع من أهل العلم ابن سينا،بل حكم عليه بعضهم بالزندقـــة والإلحـــاد، ومن هؤلاء: أبو حامد الغزالي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، لقولـــه بعدة عقائد فاسدة منها: قدم العالم، وعدم علم الله تعـــالى بالجزئيـــات، وإنكـــاره البعـــث الجسماني.([2])

وأمّا أصل فلسفته: فيقول ابن تيمية: "وابن سينا تكلم في أشياء مـــن الإلهيـــات والنبـــوات والمعاد والشرائع لم يتكلم فيها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم ولا بلغتها علـــومهم، فإنّـــه استفادها من المسلمين، وإن كان إنّما أخـــذ عـــن الملاحـــدة المنتســـبين إلـــى المســـلمين كالإسماعيلية، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم، ومن أتباع الحاكم العبيدي، الذي كان هـــو أهل بيته وأتباعه معروفين عند المسلمين بالإلحاد، أحسن ما يظهرونه دين الرفض، وهـــم في الباطن يبطون الكفر المحض".([3]) ويقول ابن تيمية: "وابن سينا لمّا عرف شيئاً من دين المسلمين وكان قد تلقى ما تلقّاه عن الملاحدة، وعمّن هـــو خيـــر مـــنهم مـــن المعتزلـــة والرافضة، أراد أن يجمع بين ما عرفه بعقله من هؤلاء، وبين ما أخذه من سلفه، فتكلم في الفلسفة بكلام مركّب من كلام سلفه ومما أحدثه، مثل كلامه في النبوات وأســـرار الآيـــات والمنامات، بل وكلامه في بعض الطبيعيات والمنطقيات... فابن سينا أصلح تلك الفلســـفة الفاسدة بعض إصلاح،حتى راجت على من لم يعرف دين الإسلام مـــن الطلبـــة النظـــار، وصار يظهر لهم بعض ما فيها من التناقض".([4])

ويقول عبد الرحمن بن خلدون:" ثمّ كان بعده- أرسطو- في الإسلام من أخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رأيه حذو النعل بالنعل إلا في القليل، وذلك أن كتب أولئك المتقدمين.. تصفّحها كثير من أهل الملة(الإسلام)، وأخذ من مذاهبهم من أضله الله من منتحلي العلوم، وجادلوا عنها واختلفوا في مسائل من تفاريعها، وكان من أشهرهم:أبو نصر الفارابي وأبو علي ابن سينا".([5])

المطلب الأول: تعريف الرسول والرسالة

الرسالة: يعرِّف ابن سينا الرسالة بقوله: "هي ما قُبل من الإفاضة المسماة وحياً على أي عبارة استصوبت لصلاح عالمي البقاء والفساد علماً وسياسة ".

الرسول: ويعرِّف الرسول بقوله:هو"المبلغ ما استفاد من الإفاضة المسماة وحياً على أي عبارة استصوبت ليحصل بآرائه صلاح العالم الحي بالسياسة، والعالم العقلي بالعلم".([6]) والمراد بالإفاضة في قول ابن سينا:ما فاض على نفس النّبي من المعاني من العقل الفعّال،([7])-وهو الملك جبريل- ثمّ فاض من ذلك العقل على النفس الناطقة الزكية المستعدة لذلك.

المناقشة

إنّ الفرق المشهور -عند العلماء- بين النّبي والرسول، أنّ الرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنّبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه([8])، ولكن هذا الفرق لا يسلم من إشكال، لأنّ النّبي مرسل ومأمور بالدعوة والتبليغ، قال تعالى **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)** سورة الحج:52، لذا ذهب بعض العلماء إلى أن الرسول: من أوحى إليه بشرع جديد، والنّبي: هو المبعوث لتقرير شرع من قبله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الصواب أنّ الرسول هو من أرسل إلى قوم كفار مكذبين، والنّبي من أرسل إلى قوم مؤمنين بشريعة رسول قبله يعلمهم ويحكم بينهم، كما قال تعالى: **(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النّبيونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ)** سورة المائدة:44، فأنبياء بني إسرائيل يحكمون بالتوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام.([9]) وما ذكره ابن سينا مبني على أصوله الفلسفية، التي لا يسلم بها علماء الإسلام.وهناك مناقشة لابن سينا في معنى الوحي، فيما يأتي من البحث.

وأمّا زعمه أن ذلك فيض فاض من العقل على نفس النّبي، فيردّ عليه شيخ الإســلام ابن تيمية بقوله: إنّ هذا ليس من مقالات أهل الملل لا سنيهم ولا بدعيهم، لكن مــن مقــالات الصابئة المتفلسفة الذين ليس عندهم في الحقيقة لله كلام، ولا ملائكة تنزل بكلامه، ولا عندهم تمييز بين موسى وهارون- عليهما السلام- ولا بينهما وبين عدو الله فرعون.([10]) وقد بنــاه ابن سينا على أصله الفاسد إذ كان لا يرى أنّ الله يسمع كلام عباده، ولا يعلم ما في نفوســهم، ولا يقدر أن يغيّر شيئا من العالم، ولا له مشيئة يفعل بها من يشاء.([11]) ومن قال مثــل هــذا الكلام يعلم بالاضطرار أنّه يكذب على القرآن الكريم الذي أخبر بأنّ موسى عليه السلام سمع نداء الله تعالى له، وأنّه كلّمه دون واسطة في جبل طور سيناء، **(وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّــورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً)** مريم:52، **(وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَــمْ نَقْصُصْــهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً)** النساء:16، وإخبار الرسول عن أمــور الغيــب يــدلّ علــى نبوته،وهو يدلّ على أنّ النّبوة إنباء من الله عز وجل،وليس ذلك مما يقوله ابن سينا مــن أنّــه فيض فاض عليه من العقل الفعّال. وهو لازم لقول من جعل كلام الله معنى مجرداً، وإذا كان اللزوم معلوم الفساد بالاضطرار من دين الإسلام علم فساد اللازم الذي زعمه.([12])

إنّ قوله تعالى:(**فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْــهِ وَهُــدىً وَبُشْــرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)** البقرة:97، وقوله **(وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ)**الأنعــام:مــن الآية114، يفيد أنّ التنزيل من الله تعالى، وهو يدلّ على بطلان قول ابن سينا الــذي يجعــل الرسالة فيض فاض على نفس النّبي من العقل الفعّــال، وهــذا القــول مــن أعظــم الكفــر والضلال،([13]) وقوله بالفيض يعني عدم إثبات حقيقة الرسالة،والنبوة عنده فيض مــن جــنس المنامات، وهذا الجنس موجود لعموم الناس،ويشترك فيه المسلمون والكفار مــن المشــركين وأهل الكتاب فأي ميزة أو فضل للأنبياء؟؟

المطلب الثاني :معنى الوحي عنده

والوحي عند ابن سينا مرتبط بمعنى الرسول والنّبي، ويفسّره بأنّه:" إفاضــة العقــل الكلي على نفس النّبي الذي ينتهي إليه التفاضل في الصور المادية، وفيضان العلوم منه علــى لوح قلب النّبي بواسطة العقل الفعّال".([14])

ويعرِف ابن سينا الوحي- في رسالة له بعنوان(الفعل والانفعال)،([15]) بقوله:" إلقـاء الخفي من الأمر العقلي بإذن الله تعالى في النفوس البشرية المستعدة لقبول هذا الإلقاء. إمّا في حالة اليقظة ويسمى الوحي، وإمّا في حالة النوم ويسمى النفث في الروع ". ولإيضاح كيفيـة الوحي يقول ابن سينا : إنّ النّبي بما له من قوة قدسية يستطيع أن يتصل بالملك، ولأنّ الملـك عقل مجرد، والعقل لا يستطيع أن يدرك الأشياء إلاّ مجردة عن الزمان، فإنّ الوحي في هـذه الحالة يكون عبارة عن إلقاء الشيء إلى النّبي بلا زمان، وذلك بواسطة الملـك، فتـأتي قـوة المخيلة في النّبي فتتلقى هذا الغيب عن العقل الفعّال، وتتصوره بصورة الحروف والأشـكال المختلفة. كما تتصور الملك بصورة بشرية. والنّبي لا يصل إلى هذه الحالة إلا بعد اسـتعداده وصفاء نفسه إلى درجة تجعلها أهلاً لذلك. ولتمييز كون الوحي قرآناً أو سنةً، لابد من التفريق بين العبارة المقارنة لتصور قوة المخيلة- في النّبي- في العلم بصورة الحروف والأشـكال، وبين العبارة النقشية التي يصوغها النّبي بعد ذلك. يقول ابن سينا في ذلك:" وكلّما عبّـر-أي النّبي- بعبارة قد اقترنت بنفس التصور فذالك هو آيات الكتاب، وكلما عبر عنه بعبارة نقشـية فذلك هو إخبار النبوة ".([16])

إنّ ابن سينا يصرّح هنا بأنّ عبارات الوحي ما هي إلا ألفاظ استصـوبها الرسـول للتعبير بها عمّا أوحي إليه ، أي أنّ الرسول قد تلقى بالفيض عن العقل الفعّال معان عبّر عنها بألفاظ من عنده، وهذا الكلام مناقض للنصوص القرآنية، قال الله تعالى:﴿**ومـا ينطـق عـن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾ سورة النجم 3-4.([17])

وإذا كان النّبي يرى الملائكة ويسمع كلام الله بواسطتهم، فإنّ ابـن سـينا يـزعم:أنّ الملائكة هي ما يتخيل في نفسه من الخيالات النورانية، وكلام الله هو ما يسمعه في نفسه من الأصوات، وهو بمنزلة ما يراه النائم في منامه.([18]) وسيأتي مزيد إيضاح لأقوال ابن سينا في مسألة كلام الله تعالى والملائكة في بقية هذا البحث.

ويلاحظ في أقوال ابن سينا السابقة مدى تأثره بنظرية الفيض الأفلاطونية،([19])ومدى محاولتـه التوفيـق بينهـا وبين الدين، وهي محاولة لـم يكتـب لهـا النجـاح كمـا هـو واضح.ونذكر هنا أنّ نظرية الفيض عند ابن سينا تقول بوجود عشرة عقول، آخرهـا **العقـل الفعّال**([20]): وهو يلزم عن العقل التاسع ووجوده لا في مادة، وهو يعقل ذاته ويعقـل الأول -

الذي هو الواحد الحق- لكن تنتهي عنده العقول والمعقولات،أي ينتهي الوجود الذي لا يحتاج ما يوجد ذلك الوجود إلى مادة وموضوع أصلاً، وعن هذا العقل تصدر مادة الأشياء الأرضية، والصور الجنسية،والنفوس الإنسانية، ويصل العالم العلوي بالعالم السفلي، وهو المسمى بالروح القدس أو بالروح الأمين، ومنه يفيض الوحي والعلم على الأنبياء.([21]) وسنتعرض لمناقشة ابن سينا في معنى الوحي الذي ذهب إليه أثناء مناقشتنا لصفة الكلام، وذلك في المطلب السادس.

المطلب الثالث :النبوة ضرورية وواجبة عند ابن سينا

يذهب ابن سينا إلى ضرورة وجود النّبي، وأنّ بعثة النّبي واجبة عقلاً،يقول في ذلك: " فواجب إذاً أن يكون نبي،وواجب أن يكون إنساناً، وواجب أن تكون له خصوصية ليست لسائر الناس، حتى يستشعر الناس فيه أمراً لا يوجد لهم، فيتميز به عنهم، فتكون له المعجزات التي أخبر به".([22]) ويقول أيضاً:" إنّ النّبي من عند الله، وبإرسال الله، وواجب في الحكمة الإلهية إرساله، وأن جميع ما يسنه فإنّما هو ما وجب من عند الله أن يسنّه، وإنّما يسنّه من عند الله ...".([23])

ويعدّ الفارابي أول الفلاسفة الإسلاميين القائلين بنظرية النّبوة وضرورة النّبي، وهو يعدّ النّبوة وسيلة من وسائل الاتصال بين عالم الأرض وعالم السماء، وأنّ النّبي لازم لحياة المدينة الفاضلة من الناحيتين السياسية والأخلاقية .

والشروط التي يجب توافرها في النّبي هي نفس الشروط اللازمة لرئيس المدينة الفاضلة، وهي: أن يكون سليم البنية، قوي الأعضاء تامّها، جيد الفهم والتصور، قوي الذاكرة، كبير الفطنة،وسريع البديهة، حسن العبارة، محباً للعلم وللاستفادة، وأن يكون صادقاً أميناً، ناصراً للعدالة، مجتنباً للملذات الحسية،غير شَرِه على المأكول والمشروب والمنكوح، مبتعداً عن اللهو واللعب،وأن تكون أعراض الدنيا هينة عنده. وأن يسمو إلى درجة العقل الفعّال الذي يستمد منه الوحي والإلهام.([24])

وأمّا ابن سينا فيربط بين العناية الإلهية والنبوة، فيقول: " فلا بدّ في وجود الإنسان وبقائه من مشاركة، ولا تتم المشاركة إلا بمعاملة، كما لا بد في ذلك من سائر الأسباب التي

تكون له، ولا بد في المعاملة من سنة وعدل، ولا بد للسنة والعدل من سانّ ومعدّل،ولا بد أن يكون هذا بحيث يجوز أن يخاطب الناس ويلزمهم السنة، ولا بد من أن يكون هذا إنساناً".([25])

ووجود النّبي – في نظر ابن سينا– أكثر حاجةً وأشدّ من وجود كثير من المنافع الدنيوية فوجوده أشدّ حاجةً من الحاجة إلى إنبات الشعر على الأشفار، وعلى الحاجبين، وتقعير الأخمص من القدمين، وغيرها من المنافع التي لا ضرورة إليها في البقاء الإنساني، ووجود النّبي تقتضيها العناية الإلهية، وليس من المعقول أن تقتضي العناية وجود تلك المنافع وأمثالها التي لا ضرورة لها في البقاء، ولا تقتضي النّبوة التي هي أسُّها، إذ لولا النّبوة لما كان هناك بقاء للنوع الإنساني.([26])

فوجود النبوة واجب، وواجب أن يكون إنساناً، وله من الخصائص ما لغيره من الناس حتّى يستشعر الناس فيه أمراً لا يوجد لهم ، ويجب أن تكون له المعجزات التي أخبرنا بها.([27])

المناقشة

إنّ من الحق الذي ذهب إليه ابن سينا: أنّ وجود النّبي أكثر حاجةً وأشدّ من وجود كثير من المنافع الدنيوية، وأشدّ حاجةً من الحاجة إلى إنبات الشعر على الأشفار،وعلى الحاجبين،وتقعير الأخمص من القدمين، وغيرها من المنافع التي لا ضرورة إليها في البقاء الإنساني، وهذا موافق لما ذكره أئمة أهل السنة في هذا الموضوع، ومن ذلك ما قاله ابن تيمية، قال: فإنّ الله سبحانه جعل الرسل وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم، وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم، وبعثوا جميعا بالدعوة إلى الله، وتعريف الطريق الموصل إليه، وبيان حالهم بعد الوصول إليه..."، ثم ذكر ثلاثة أصول وهي:1–إثبات الصفات والتوحيد والقدر وذكر أيام الله في أوليائه وأعدائه، وهى القصص التي قصّها على عباده،والأمثال التي ضربها لهم، 2–وتفصيل الشرائع، والأمر والنهى والإباحة، وبيان ما يحبه الله وما يكرهه، 3– الإيمان باليوم الآخر والجنة والنار والثواب والعقاب. ثمّ قال:"وعلى هذه الأصول الثلاثة: مدار الخلق والأمر، والسعادة والفلاح موقوفة عليها، ولا سبيل إلى معرفتها إلا من جهة الرسل،فإنّ العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها ومعرفة حقائقها، وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إليها من حيث الجملة، كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة إلى الطب

ومن يداويه، ولا يهتدي إلى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه، وحاجة العبد إلى الرســالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب، فإنّ آخر ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان، وأمّا إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتــا لا ترجــى الحيــاة معــه أبــدا أو شقي".([28]) ويبيّن ابن قيم الجوزية أنّ الحاجة إلى علوم الرسل أعظم من الحاجة إلى الطــب، فيقول: "حاجة النّاس إلى الشريعة ضرورية، فوق حاجتهم إلى كل شيء، ولا نسبة لحــاجتهم إلى علم الطب إليها، ألا ترى أنّ أكثر العالم يعيشون بغير طبيب، ولا يكون الطبيب إلا فــي بعض المدن الجامعة، وأمّا أهل البدو كلّهم وأهل الكفور كلّهم وعامة بني آدم فــلا يحتــاجون إلى طبيب، وهم أصحّ أبداناً وأقوى طبيعةً ممّن هو متقيد بالطبيب، ولعلّ أعمارهم متقاربــة، وقد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم، وجعل لكل قوم عادةً وعرفاً في استخراج ما يهجم عليهم من الأدواء، حتى أنّ كثيراً من أصول الطب إنّما أخــذت عــن عوائد الناس وعرفهم وتجاربهم، وأمّا الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية، فمبناها على الوحي المحض، والحاجة إلى التنفس فضلا عــن الطعام والشراب، لأنّ غاية ما يقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البــدن وتعطــل الروح عنه، وأمّا ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملــة، وهــلاك الأبــدان، وشتان بين هذا، وهلاك البدن بالموت، فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة مــا جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والقيام به، والدعوة إليه، والصبر عليه وجهاد من خرج عنه، حتى يرجع إليه، وليس للعالم صلاح بدون ذلك ألبتة، ولا ســبيل إلــى الوصــول إلــى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسم"([29]).

ويقال لابن سينا إنّ قولك: فوجود النبوة واجب، وأن بعثة النّبي واجبة عقلاً، ممّا لا يقبل في حق الله تعالى، فالعباد لا يجوز لهم أن يوجبوا على الله شــيء، أو يحرّمــوا عليــه شيء، فالوجوب يجب أن يعلم بالسمع، والله هو الذي يوجب على نفسه، قال تعــالى:(**كَتَــبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)** الأنعام: من الآية54، وقال:**(وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَــا نَصْــرُ الْمُــؤْمِنِينَ)** الروم:من الآية47.ولا يلزم من كونه تعالى أوجب على نفسه شيئاً أن يكون فاعلاً بالإيجــاب، أي لا اختيار له، لأنّه سبحانه وتعالى أوجبه على نفسه باختيــاره ومشــيئته، وأهــل الســنة والجماعة متفقون على أنّه تعالى خالق كل شيء وربّه ومليكه، وأنه ما شاء كان وما لم يشــأ

لم يكن، وأنّ العباد لا يوجبون عليه شـيئاً، لمنافاتـه مشـيئة الله واختيـاره المطلـق فـي مخلوقاته،ولأنّ في ترك هذا النوع من الواجب إمّا حصول مضرة أو فوات منفعـة أو لـزوم محال، والله تعالى يتنزه عن هذه كلها، لأنّه لا ينتفع بإرسـال الرسـل، ولا يتضـرر بتـرك إرسالهم، ولا يلزم من عدم إرسالهم محال بالنسبة إليه سبحانه وتعالى([30]).

يقول ابن تيمية:" وقد اتفق العلماء على وجوب مـا يجـب بوعـد الله الصـادق، وتنازعوا هل يوجب الله بنفسه على نفسه ويحرم بنفسه على نفسه على قولين،ومن جوز ذلك: احتج بقوله سبحانه كتب ربكم على نفسه الرحمة، وبقوله في الحديث القدسي الصـحيح إنـي حرمت الظلم على نفسي الخ...وأمّا الإيجاب عليه سبحانه وتعالى والتحـريم بالقيـاس علـى خلقه، فهذا قول القدرية، وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقـول، وأهـل السنة متفقون على أنّه سبحانه خالق كل شيء، وربه ومليكه، وأنّه ما شاء كان، وما شاء لـم يكن،وأنّ العباد لا يوجبون عليه شيئاً،ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب قـال: إنّـه كتب على نفسه الرحمة،وحرّم الظلم على نفسه، لا أنّ العبد نفسه مستحق على الله شيئاً، كمـا يكون للمخلوق على المخلوق، فإنّ الله هو المنعم على العباد بكل خير، فهو الخالق لهم، وهـو المرسل إليهم الرسل، وهو الميسّر لهم الإيمان والعمل الصالح"([31]).

ويقول العلامة محمد بن أحمد السفاريني:" إنّ إرسال الرسل وإنزال الكتب وشرع الشرائع منّة من الله وفضل، لا واجب عليه ذلك، وإنّما هو على سـبيل اللطـف بـالخلق والفضل عليهم، فبعثة الله جميع الرسل من آدم إلى محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعـين إلى المكلفين لطف من الله بهم، ليبلغوهم عنه سبحانه وتعالى أمره ونهيه، ووعده ووعيده، ويبينوا لهم عنه سبحانه ما يحتاجون إليه من أمور المعاش والمعاد..".([32])

وبعثة النبي وإرسال الرسل تفضل من الله ورحمة للعباد، ، قال تعالى:(**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)** الأنبياء:107،**(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَـثَ فِـيهِمْ رَسُـولاً مِـنْ أَنْفُسِهِمْ)**آل عمران: من الآية164، وحتى لا يكون حجة للناس بأنّهم لـم يبلغـوا مـنهج الله وقال:**(رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّه حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيـزاً حَكِيماً)** النساء:165، وقال:**(وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَـلْتَ إِلَيْنَـا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى)** طـه:134.

ومن المستنكر أن يقال أنّ إرسال الله تعالى رسله لعباده الذي فيه غايــة صـــلاحهم وسعادتهم في الدنيا و الآخرة، ونهيه لهم عمّا فيه هلاكهم وشقاؤهم في الــدنيا و الآخــرة، واجب عقلاً!.

المطلب الرابع :النبوة مكتسبة

زعم ابن سينا أنّ النبوة مكتسبة، أي يكتبها مــن راض نفســه، وخلّصــها مــن الأوصاف الذميمة إلى الأوصاف الحميدة،ولازم الخلوة والعبادة، ودوام المراقبــة،وإخلاء نفسه من الشواغل العائقة عن المشاهدة.إنّ النّبوة فيض يفيض على نفس النّبي إذا استعدت لذلك.([33]) يقول ابن سينا:" ولنفسك أن تنتقش بنفس ذلك العالم– يقصد العالم العقل– بحسب الاستعداد، وزوال الحائل، قد علمت ذلك فلا تستنكرن أن يكون بعض الغيب ينتقش فيهــا من عالمه".([34]) ويقول ابن سينا: "وهذه القوة ربّما كانت للنفس بحسب المزاج الأصــلي، وقد تحصل بضرب من الكسب يجعل النفس لشدة الزكاة كما تحصل لأولياء الله الأبــرار، والذي يقع له هذا في جبلة النفس ثمّ يكون خيراً رشيداً مزكياً لنفسه، فهو ذو معجزة مــن الأنبياء أو كرامة من الأولياء، وكلما زكّى المرء نفسه، رقي في هذا البــاب، وزاد علــى مقتضى جبلته إلى أن يبلغ المبلغ الأقصى". ([35])

المناقشة

إنّ ما ذهب إليه ابن سينا مخالف لنص القرآن ولإجماع المسلمين، فــالله تعــالى يختص برحمته من يشاء من عباده، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، ولا يشترط في النبــوة استعداد ذاتي كما زعم ابن سينا، ولا تنال بمجرد الكسب، وتكلف أنواع العبادات، وتطهير الأخلاق، ورياضة النفس، والله تعالى بيَّن في كتابه العزيز أن النبوة اصــطفاء واختيــار واجتباء إلهي، وهي فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده،([36]) ونصوص القرآن في ذلك كثيرة، ومن ذلك:قوله تعالى:(**الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن النــاس إن الله ســميع بصير**) سورة الحج :75، وقوله :(**إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمــران على العالمين**) سورة آل عمران:33، وقوله تعالى لنبيه موسى:(**قــال يــا موســى إنّــي اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن مــن الشــاكرين**)ســـورة الأعراف:144، وقوله تعالى:(**واذكر عبادنا إبراهيم وإســحاق ويعقــوب أولــي الأيــدي**

والأبصار إنّا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) سورة ص: 45-47 .

إنّ ادعاء ابن سينا بأنّ النبوة مكتسبة قد رتّبه على نظرية الفيض التي استمدها من الفلسفة اليونانية، وخاصة فلسفة أفلوطين، وادعاؤه هذا يسقط الفوارق بين الأنبياء عليهم السلام وغيرهم من الناس، فما دامت النبوة مكتسبة فقد يدعيها مدع، ويزعم أنه كالنّبي علماً وحكمة وعملاً، أو أنّه فوق النّبي في مثل هذه الأمور.

وبهذا يتبين أنّ ابن سينا ما قَدَّر الله تعالى حق قدره، ولا قدّر الأنبياء حق قدرهم، لمّا ظنّ أنّ الإنسان إذا كان فيه استعداد لكمال تزكية نفسه وإصلاحها فاضت عليه بسبب ذلك المعارف من العقل الفعّال، وأنّ حصول النبوة ليس هو أمر يحدثه الله بمشيئته وقدرته واختياره.([37])

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:"والذي عليه جمهور سلف الأمة وأئمتها وكثير من النظار أنّ الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فالنبي يختص بصفات ميزه الله بها على غيره في عقله ودينه، واستعدّ بها، لأنّ يخصه الله بفضله ورحمته، كما قال **تعالى: (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات)** سورة الزخرف31-32، وقال تعالى:**(ما يودّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزّل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)** سورة البقرة:10وقال تعالى لمّا ذكر الأنبياء بقوله:**(ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضّلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم)** سورة الأنعام: 84-87، فأخبر أنّه اجتباهم وهداهم ".([38])

ويقول العلامة محمد بن أحمد السفاريني: "وعند التحقيق فلا فرق عندهم- أي الفلاسفة ،وابن سينا منهم- بين الفيض على نفس النّبي وسائر النفوس إلا من جهة كونها أصفى وأكمل"، ويقول:" من زعم أنّها مكتسبة فهو زنديق يجب قتله، لأنّه يقتضي كلامه

واعتقاده أن لا تنقطع، وهو مخالف للنّص القرآني والأحاديث المتواترة بأنّ نبينا صلى الله عليه وسلّم خاتم النّبيين عليهم السلام".([39])

المطلب الخامس :عمدة ابن سينا في إثبات النبوة

إنّ عمدة ابن سينا في إثبات النبوة هو المنامات. قال إنّ معرفة الأمور الغائبة عن طريق النوم ممكنة ، فوجب أيضاً أن تكون كذلك في حالة اليقظة. فالنائم تتجرد نفسه عن بدنه نوع تجرد فيحصل لها من العلم الذي يلقيه الله إليها ما لم تحصله في غير هذا الحال. وهكذا يمكن أن يحصل في اليقظة نوع تجرد فتتصل النفس البشرية بالنفس الكلية وتتلقى عنها من العلم ما لم تحصله في غير هذا الحال([40]).

وفي رأي ابن سينا أنّ التجربة والبرهان القياسي يشهدان أنّ النّفس الإنسانية تستطيع أثناء النوم الوقوف على المجهول، وإذا كان الأمر كذلك فليس بمستبعد عليها أن تتكشف المجهول حال اليقظة. وأنّ التجربة والقياس يقرران أن أشخاصاً كثيرين تنبؤا بالمستقبل عن طريق الأحلام. وكذلك العقل حيث نسلم بأن الأحداث الماضية والحاضرة والمستقبلية مثبتة في العالم العلوي، ومقيدة في اللوح المحفوظ. وإذا استطاعت النفوس البشرية الصعود إلى العالم العلوي والوقوف على ما في اللوح المحفوظ عرفت ما فيه، وتنبّأت بالغيب. وإذا كان هناك أشخاص يدركون مثل هذا الغيب عن طريق مخيلتهم أثناء النوم فيحلمون بأشياء كأنّها حقائق مسلمة. فإنّ غيرهم من الأشخاص ممن عظمت نفوسهم وقويت مخيلتهم يدركون ما في علم الغيب حال اليقظة، – كما يدرك غيرهم حال النوم– وهؤلاء هم الأنبياء.([41])

يقول ابن سينا: "التجربة والقياس متطابقان علماً أنّ للنّفس الإنسانية أن تنال من الغيب نيلاً ما في حال النوم، فلا مانع من أن يقع مثل ذلك النيل في حال اليقظة، إلّا ما كان إلى زواله سبيل، ولارتفاعه إمكان. أما التجربة فالسماع والتعارف يشهدان به، وليس أحد من الناس إلا وقد جرّب ذلك في نفسه تجارب ألهمته التصديق ، اللهم إلا أن يكون أحدهم فاسد المزاج ، نائم قوي التخيل والتذكر،أما القياس فاستبصر فيه من تنبيهات: تنبه: قد علمت فيما سلف أن الجزيئات منقوشة في العالم العقلي نقشاً على وجه كلى، ثم قد نبهت لأنّ الأجرام السماوية لها نفوس ذوات إدراكات جزئية وإرادات جزئية تصدر

عن رأى جزئي، ولا مانع لها عن تصور اللوازم الجزئية لحركاتها الجزئية من الكائنات عنها في العالم العنصري"([42]).

ويرى ابن سينا استمرار أفعال اليقظة في الأحلام، وذلك يكون باستمرار بعض الأفعال والأفكار التي تشغل الإنسان أثناء اليقظة، أي إذا استمرت المتخيلة مشغولة بها، والمتخيلة تحكي أموراً قريباً إليها إرادية، ويحدث هذا عندما تكون في همة النفس وقت اليقظة شيء تتصرف النفس إلى تأمله وتدبره، فإذا نام الإنسان أخذت المتخيلة تحكي ذلك الشيء وما هو من جنسه، وهذا من بقايا انشغال الفكر في حالة اليقظة ([43]).

والأحلام التي أشبه بها النبوات–عند ابن سينا– لا تنشأ عن إحساسات خارجية أو داخلية بدنية، ولا تكون من بقايا اليقظة، وإنما تنشأ عن اتصال النفس بالملكوت (الملائكة أو العقل الفعّال) ويحدث ذلك أثناء النوم، وفي بعض حالات اليقظة، فتتلقى النفس من هناك الوحي والإلهام. ويكون ذلك بمثابة الإنذار والإخبار بما سيكون([44]). فإذا حدث الاتصال أثناء النوم فهو رؤيا، وإذا حدث ذلك أثناء اليقظة فهو وحي وإلهام، وذلك وظيفة من وظائف القوة المتخيلة عند الإنسان([45]).

يقول ابن سينا:" وصنف– أي عن المعجزات–يتعلق بفضيلة التخيل، ذلك أن يؤتي المستعد لذلك ما يقوى به على تخيلات الأمور الحاضرة والماضية، والإطلاع على مغيبات الأمور المستقبلة، فيلقي إليه كثير من الأمور التي تقدم وقوعها بزمن طويل فيخبر عنها، وكثير من الأمور التي تكون في زمان المستقبل يخبر بها،وبالجملة يتحدث عن الغيب فيكون بشيراً ونذيراً.. وقد يكون هذا المعنى لكثير من الناس في النوم ويسمى الرؤيا. وأما الأنبياء عليهم السلام فإنما يكون ذلك لهم في حالة النوم واليقظة معاً"([46]).

المناقشة

إنّ الرؤيا ثلاثة أقسام: رؤيا بشرى من الله تعالى، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدّث المرء به نفسه في اليقظة، فيراه في المنام، وقد ثبت هذا التقسيم في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم. فعن أبي هريرة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول:" الرؤيا الصالحة بشارة من الله والتحزين من الشيطان، ومن الرؤيا يحدّث به الرجل نفسه".([47])

إنّ كلام ابن سينا في الرؤيا، واتصال النفس بالعالم العلوي أثناء النوم يحتاج إلـى توضيح، وبيان ذلك: أن عامة علماء الإسلام يقرون بأنّ الرؤيا الصادقة مـن الله تعـالى، فإنّ ما ادعاه من أنّ الرؤيا قد يحصل بها معرفة المغيبات فحق، فرسـول الله صـلى الله عليه وسلم ﷺ أول ما بدئ به الوحي الرؤيا الصادقة، فعـن عائشـة رضـي الله عنهـا قالت:أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة في النـوم، فكـان لا يرى رؤيا إلا جاءته مثل فلق الصبح..."،([48]) وكان في أول الأمر يرى الوحي في المنـام ودام كذلك نصف سنة ثمّ رأى الملك في اليقظة، حكى البيهقي أن مدة الرؤيا كانـت سـتة أشهر.([49])

ورؤى الأنبياء وحي معصوم، والرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح، أو تُـرى له حق، وهي جزء من ستة وأربعين جزءاً مـن النبـوة، كمـا جـاء فـي الأحاديـث الصحيحة:منها:قوله صلى الله عليه وسلم "رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً مـن النبوة "،([50]) وقوله:" الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ".([51])

ورؤيا الأنبياء وحي بخلاف غيرهم، فالوحي لا يدخله خلل،ولا يتعلق بـه هـوى لأنه محروس قال الله تعالى:**(وما ينطق عن الهوى إن هـو إلا وحـي يـوحى)** سـورة النجم:3-4، بخلاف رؤيا غير الأنبياء، فإنها قد يحضرها الشيطان، وقد وردت في القرآن الكريم أمثلة من الرؤيا الصادقة، وهى رؤيا الأنبياء عليهم الصـلاة والسـلام،ومن ذلـك الرؤيا التي رآها النّبي صلى الله عليه وسلم وهو في طريقـة إلـى الحديبيـة، قـال الله تعالى:**(لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شـاء الله آمنـين)** سورة الفتح:27، والرؤيا التي رآها إبراهيم عليه السلام. قال تعالى:**(يا بني إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك)** سورة الصافات:102.

وكلام ابن سينا عن الرؤيا الصادقة،وهو ما يراه الإنسان نتيجة اتصـاله بالعـالم العلوي حق، خاصّة وأنه يرى أنّ الأحلام الناشئة عن الاحساسات البدنية كاذبة، ويسـميها أضغاث أحلام([52]).ولكن أقواله بالجملة تحتاج إلى تحليل وبيان، حتى لا يلتـبس الحـق بالباطل، لأنّ رؤيا الأنبياء وحي بخلاف رؤيا غيرهم من الناس، والوحي لا يدخله خلـل، ولا يخالطه هوى أو تخيلاّت، وهذا حاصل في رؤيا كثير من الناس، بسبب تلبيس إبليس،

أو نتيجة مرض أو هوس، ونحو ذلك. قال ابن بطال:"والرؤيا الصادقه وإن كانت جــزءاً من النبوة فهي باعتبار صدقها، وإلا لساغ لصاحبها أن يسمى نبياً، وليس كذلك".([53]) وإذا كان الأنبياء يختصون بآيات يؤيدون بها ليتميزوا بها عمّن ليس مثلهم، كما تميزوا بــالعلم الإلهي، فإنّ رؤاهم كذلك يجب أن يتميزوا بها عمّن ليس مثلهم.

قال الخطابي:" قال بعض العلماء:أقام صلى الله عليه وسلم يــوحى إليــه ثلاثــا وعشرين سنة، منها عشر سنين بالمدينة وثلاث عشرة بمكة، وكان قبل ذلك ســتة أشــهر يرى في المنام الوحي، وهي جزء من ستة وأربعين جزءاً، وقال بعض العلمــاء:معنــى الحديث أي حديث الرؤيا– أن الرؤيا تأتي على موافقة النبوة، لأنّها جزء باق من النبوة ". وأضاف الخطابي: "هذا الحديث توكيد لأمر الرؤيا وتحقيق منزلتها، وقال وإنمــا كانــت جزءاً من أجزاء النبوة في حق الأنبياء دون غيرهم، وكان الأنبياء صــلوات الله وســلامه عليهم يوحى إليهم في منامهم كما يوحى إليهم في اليقظة ".

وقال المازري: "ويحتمل أن يكون المراد أن المنام فيه إخبار الغيب، وهو إحــدى ثمرات النبوة، وهو ليس في حد النبوة ؛ لأنه يجوز أن يبعــث الله تعــالى نبيــاً ليشــرع الشرائع، ويبين الأحكام، ولا يخبر بغيب أبدا، ولا يقدح ذلك في نبوتــه، ولا يــؤثر فــي مقصودها، هذا الجزء من النبوة وهو الإخبار بالغيــب إذا وقــع لا يكــون إلا صــدقا ". وأضاف المازري: " كثر كلام الناس في حقيقة الرؤيا ، وقال فيها غير الإسلاميين أقاويل كثيرة منكرة ، لأنهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالعقل ولا يقوم عليهــا برهــان وهم لا يصدقون بالسمع فاضطربت أقوالهم...ومن ينتمي إلى الفلسفة يقول : إن صور ما يجري في الأرض هي في العالم العلوي كالنقوش فما حاذى بعض النقوش منهــا انــتقش فيها، قال وهذا أشدّ فساداً من الأول لكونه تحكماً لا برهان عليه والانتقاش مــن صــفات الأجسام، وأكثر ما يجري في العالم العلوي الأعــراض، والأعــراض لا ينــتقش فيهــا، والصحيح ما عليه أهل السنة أنّ الله يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها فــي قلــب اليقظان، فإذا خلقها فكأنّه جعلها علماً على أمور أخرى يخلقها في ثاني الحال، ومهما وقع منها على خلاف المعتقد فهو كما يقع لليقظان، ونظيره أن الله خلق الغــيم علامــة علــى المطر، وقد يتخلف، وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعــدها مــا يســرّ، أو

بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يضرّ، والعلم عند الله تعالى". وقال القرطبي: سبب تخليط غير الشرعيين إعراضهم عمّا جاءت به الأنبياء من الطريق المستقيم، وبيان ذلك: أنّ الرؤيا إنّما هي من إدراكات النفس وقد غيّب عنّا علم حقيقتها أي النفس، وإذا كان كذلك فالأولى أن لا نعلم علم إدراكاتها، بل كثير ممّا انكشف لنا من إدراكات السمع والبصر إنّما نعلم منه أموراً جملية لا تفصيلية ".([54])

إنّ ما يجعله الله تعالى في النفوس إنّما يكون بعد إعدادها لذلك وتسويتها – لما يلقى فيها – بالعبادة الخالصة ومجاهدة النفس وإلزامها طاعة ربها عز وجل. لكن لا تجعل النبوة كلها من هذا الجنس، فالنّبي ﷺ كان يأتيه الملك ويخاطبه بالكلام ، وأحياناً يأتيه في الباطن فيكلمه، وأحياناً يتمثل له في صورة الرجل فيكلمه. قال تعالى: **(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليٌّ حكيم)** الشورى:42.([55])

يقول أبو حامد الغزالي في مناقشته لمسلك ابن سينا السابق: " بم تنكرون على من يقول: إن النّبي صلى الله عليه وسلم، يعرف الغيب، بتعريف الله عز وجل، على سبيل الابتداء، وكذا من يرى في المنام، فإنها يعرفه بتعريف الله تعالى، أو تعريف ملك من الملائكة، فلا يحتاج إلى شيء مما ذكرتموه،فلا دليل في هذا، ولا دليل لكم في ورود الشرع باللوح المحفوظ، والقلم، فإن أهل الشرع، لم يفهموا من اللوح والقلم، هذا المعنى قطعاً، فلا متمسك لكم في الشرعيات.. وإنّما السبيل فيه أن يتعرف من الشرع، لا من العقل ".([56])

ويقال لابن سينا وإخوانه من الفلاسفة: إنّ الأدلة على إثبات النبوة ليست مقتصرة على ما ذكرتموه، فإنّما تثبت بالمعجزة، وبالاستدلال بأحوال النّبي وصفاته قبل النبوة وبصفاته حال الدعوة، وبعد تمامها،ومن خلال دراسة أخلاقه وأحكامه ومعاملاته مع الناس، ويستدل عليها أيضا بنصرة دينه على أعدائه، وعلىغيره من الأديان، وبهلاك المكذبين له. وتثبت بصدق ما يخبر عن ربه بوقوعه على ما أخبر به. وبإخبار الأنبياء المتقدمين عليه عن نبوته. كما جاء خبر ووصف رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل. وتثبت نبوته من خلال دراسة ما يدعو إليه واتصافه بالواقعية والترابط

وعدم التناقض والاضطراب، وكونه مما ترتضيه الفطرة السليمة، والعقل الصريح، وتستريح إليه القلوب والضمائر الحية.([57])

ومن الباطل في أقوال ابن سينا أنه جعل إدراك النبي الأمور الحاضرة والماضية، والإطلاع على مغيبات أمور المستقبل يحصل بفضيلة قوى التخيل عند النبي نفسه، ومن المعلوم بالضرورة أنّ هذه لا تدرك إلا بخبر المخبر للإنسان، وأمّا علمه بها بدون الخبر فممتنع من قوى النفس، قال تعالى:**(وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)** القصص:46، وقال **(وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ)** القصص:44، **(ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ)** (يوسف:102) ،وقال **(ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ)**آل عمران:44.([58])

المطلب السادس :صفة الكلام

ذهب ابن سينا إلى أن كلام الله تعلى ليس صفة قائمة بذاته تعالى، وليس له وجود خارج نفوس العباد ، فليس لله كلام أنزله بواسطة جبريل عليه السلام على أنبيائه الذين اصطفاهم برسالاته .وزعم أن الكلام هو ما يفيض على نفس النّبي من العقل الفعّال أو من غيره ، وأن الله تعالى لم يكلم موسى عليه السلام تكليماً ، إنما كلمه من سماء عقله بما أحدثه في نفسه من كلام، لم يسمعه موسى عليه السلام من خارج نفسه. فالمتكلم – عندهم– حقيقة هو النّبي، أما الله تعالى فهو متكلم مجازاً بما خلقه في نفس النّبي من ألفاظ فالله لم يتكلم بصوت يسمعه النّبي من خارج نفسه ، أي لا حقيقة لكلام الله في الخارج.([59])

ولتوضيح معنى كلام الله عند ابن سينا ننقل بعض أقواله التي جاءت في مؤلفاته، ومؤلفات العلماء المطلعين على مذهبه الفلسفي.

يقول ابن سينا : " فوصفه بكونه متكلماً لا يرجع إلى ترديد العبارات ، ولا إلى أحاديث النفس والفكر المتخيلة المختلفة التي العبارات دلائل عليها ، بل فيضان العلوم منه على لوح قلب النّبي بواسطة القلم النقّاش الذي يعبر عنه بالعقل الفعّال والملك المقرب

هو كلامه. فالنّبي يتلقى علم الغيب من الحق بواسطة الملك ، وقوة التخيــل تتلقــى تلــك وتتصورها بصورة الحروف والأشكال المختلفة، وتجد لوح النفس فارغــاً فتــنقش تلــك العبارات والصور فيه فيسمع منها كلاماً منظوماً، ويرى شخصاً بشرياً فذلك هو الــوحي، لأنه إلقاء الشيء إلى النّبي بِلا زَمان ، فيتصور في نفسه الصافية المُلَقَّــي المُلْقَــى، كمــا يتصور في المرآة المجلوة صورة المقابل ، فتارة يعبر عن ذلك المنتقش بعبارة العبريــة وتارة بعبارة العرب ، فالمصدر واحد والمظهر متعدد ، فذلك هو سماع كــلام الملائكــة ورؤيتها.[60]

يتضح لقارئ أقوال ابن سينا أنّه ينكر صفة الكلام لله تعالى كما جاءت في الكتاب والسنة، وهو أنّه تعالى قد تكلم بصوت وحرف مسموع ، وأن ابن ســينا يرجــع الــوحي والنبوة إلى قوة التخيل لدى النّبي وأنّ الرسول يسمع أصواتاً من داخل نفسه لا يكلــمه الله عز وجل مشــافهة كتكليمه لنبيه موسى عليه السلام ، ولا بواسطة الملك جبريــل الــذي ينزل بكلامه تعالى على المختار لرسالته، كما حصل للنّبي محمد صلى الله عليه وسلم.[61]

وجاء في رسالة " النبوات " لابن سينا : أن إفاضة العقل الكلي على نفس النّبي الذي ينتهي إليه التفاضل في الصور المادية، وفيضات العلوم منه على لوح قلــب النّبــي بواسطة العقل الفعّال والملك المقرب ، هو كلامه ".[62]

ويصوّر ابن قيم الجوزية مذهب الفلاسفة في كلام الله تعــالى فيقــول: "مــذهب الفلاسفة المتأخرين أتباع أر سطو – وهم الذين يحكي ابن ســينا والفــارابي والطوســي قولهم–: إنّ كلام الله فيض فاض من العقل الفعّال على النفوس الفاضلة الزكيــة بحســب استعدادها ، فأوجب لها ذلك الفيض من تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه، ولهــذه النفوس عندهم ثلاث قوى، قوة التصور، وقوة التخيل، وقوة التعبير. فتدرك بقوة تصورها من المعاني ما يعجز عنه غيرها، وتدرك بقوة تخيلها شكل المعقول في صورة المحسوس فتتصور المعقول صوراً نورانية تخاطبها وتكلمها بكلام تسمعه الأذن، وهو عندهم كــلام الله ولا حقيقة له في الخارج، وإنما ذلك كله من القوة الخيالية الوهمية. قالوا: وربما قويت هذه القوة على إسماع ذلك الخطاب لغيرها، وتشكيل تلك الصور العقلية لعين الرائي،فيرى الملائكة ويسمع خطابهم، وكل ذلك من الوهم والخيال لا في الخارج".[63]

حجة الفلاسفة في نفي صفة الكلام

استدل ابن سينا على نفي صفة الكلام بحجة داحضة وهي : أن إثبات صفة الكلام لله تعالى يوجب إما أن يكون كلامه من جنس كلام البشر ، أو لا يكون من جنس كلامهم، فإذا كان من جنس كلام البشر كان مشاركاً له من جهة الإمكان والعرضـية ، أي كونـه ممكناً ومحلاً للأعراض ، وهذا متعذر في حقه تعالى ، ويلزم أن يكون الله تعالى جرمـاً لأن الكلام غير متصور دون حروف وأصوات، والحروف عبارة عن تقطيع الأصـوات، وهذا لا يكون إلا للجرم، والصوت لا يكون إلا عن احتكاكات الأجرام. وإذا كان كلامـه ليس من جنس كلام البشر فهو غير معقول، وغير المعقول محال.(64)

وإذا قيل له إن نفي صفة الكلام يقتضي إنكار أمره ونهيه عز وجل، وهذا يـؤدي إلى عدم تحقيق معنى الطاعة له تعالى، وعدم صحة الرسالة. قال: إن معنـى الطاعـة لا يتحقق عن طريق الأمر والنهي ، بل يستند إلى التسخير على وجه الطواعيـة والإذعـان على وفق الإرادة والاختيار، وأن تسخيره تعالى للمخلوقات وإبداعه للكائنـات دون آلات وأدوات ، وتقليبه الخلائق بين المرغبات والمنفرات على وجه الطواعية حالة تنزل منزل القول بالأمر والنهي وإلى ذلك أشار الله تعالى بقوله: (**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)** سـورة فصـلت:11، فخطابـه للسماء والأرض متعذر وكذلك قولهما ، وليس ذلـك منهمـا إلا علـى سـبيل الانقيـاد والتسخير.(65)

المناقشة : تتضمن المناقشة النقاط التالية :

أولاً : إثبات صفة الكلام لله عز وجل

الكلام من صفات الكمال ، فمن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم ، كمن يعلم ويسمع فهو أكمل ممن ليس كذلك ، ومن يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن يكون الكلام لازماً لذاتـه ، ليس له عليه قدرة ولا له فيه مشيئة واختيار.والكلام يكون صفة كمال للمـتكلم إذا كـان الكلام قائماً به، صادراً عنه بمشيئته وقدرته، لا كونه أمراً مبايناً له منفصلاً عنه.(66)

ولقد جاءت نصوص الكتاب والسنة تقرر صفة الكلام لله ، وتثبت أنه متكلم حقيقة بكلام حقيقي هو صفة له، وهذه النصوص لا يملك المسلم أمامها إلا الإيمان بما أثبتتـه–

دون تأويل أو تكييف أو تمثيل – ولا يستطيع أن يعطلها أو يحرفها ، وإلا دخل إيمانه مـا يشوبه ويكدره.

والقرآن الكريم زاخر بالآيات التي تثبت أنه تعالى تكلَّم ويتكلَّم ، وكلَّم ويُكَلِّم وقال ويقول ، ونادى وينادي ، وأخبر وأنبأ ، وغير ذلك من الألفاظ التي تدل صراحةً على أنه تعالى متكلم بكلام حقيقي.[67]

ومن هذه الآيات قوله تعالى : (**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**) سورة النساء:164 وقوله: (**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ**) سورة الأعراف:143، وقوله:(**قَالَ يا موسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي**) سورة الأعراف: 144، وقوله: (**وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**) سورة التوبة : 6، وقوله "(**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**) سورة البقرة:30، وقوله:(**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يا عيسى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ**) سورة المائدة : 116، وقوله:(**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا**)سورة البقرة : 34، وقوله : (**وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ**) سورة البقرة:60، وقوله : (**وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِين**) سورة الشعراء:10، وقوله:(**وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يا إبراهيم، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا**) سورة الصافات 104- 105، وقوله : (**قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ**) سورة التوبة :94، وقوله: (**إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**) سورة الزمر:7.

ومن الأحاديث الشريفة ما رواه عدي بن حاتم رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "وما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان.. ".[68] وما رواه عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب:أنا الملك أنا الديان".[69]

ثانياً : مناقشة حجة ابن سينا

إنّ صفة الكلام من صفات الكمال التي يجب إثباتها لله تعالى على الوجــه الــذي يليق بجلاله وكماله ، ولا يعني بالضرورة أن إثباتها يقتضي أن يكون من جــنس كــلام البشر، فالقرآن الكريم والسنة جاء فيهما إثبــات الكــلام والنطــق لــبعض المخلوقــات والجمادات، ومن المعلوم أنّ كلام هذه المخلوقات ليس من جنس كلام البشر، فلــيس لهــا آلات ولا أدوات قال تعالى مخبراً عن قول جهنــم يوم القيامة **(يَوْمَ نَقُــولُ لِجَهَــنَّمَ هَــلْ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ)** سورة ق:30، وأخبر عن السماء والأرض أنهما قالتا: قــال تعالى:**(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًــا قَالَتَــا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)**سورة فصلت:11، وأخبر عن نطق أعضاء الإنسان يوم القيامة، شاهدةً على أعمال صاحبها**(حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَــانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَــيْءٍ وَهُــوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)** سورة فصلت:20-21.

وجاء في السنة أنّه عليه الصلاة والسلام. كان يسمع تسليم الحجر والشجر عليــه وهو بمكة المكرمة.[70] وسمع أصحابه تسبيح الحصى بين يديه.[71]

وبهذه الأخبار وغيرها أصبح معلوماً لدى النّاس أنّ الكــلام والــتكلُم بــالحرف والصوت ليس موقوفاً على الأدوات والآلات التي يتكلم بها الإنسان، بل قد يتكلم المخلوق بدونها فكيف بالخالق عز وجل الذي لا يماثله المخلوق ، فلا يلزم إذاً أن يكون الله تعــالى جرماً إذا اتصف بالكلام كما زعم ابن سينا.[72]

وأمّا ما جاء في الدليل من الزعم بأنّ الكلام إذا كان من غير جنس كلام البشــر فغير معقول، وغير المعقول محال . فيردُ عليه بأنّ كلام الله لا يماثل كلام البشر، وغيــر المعقول أن يكون من جنس كلام البشر، إذ لو كان من جنسه لدخل الله تعالى تحت جــنس البشر، وهذا محال . فذاته تعالى لا تماثل ذات أحد من المخلوقات لا بشــر ولا غيــرهم وكذلك صفاته تعالى، قال تعالى:**(ليس كمثله شــيء وهــو الســميع البصــير)** ســورة الشورى:11. وإذا كان الفلاسفة لا يتصورون كلاما من غير جنس البشــر فهــذا راجــع

لقصور عقولهم، وعدم إيمانهم بالقرآن الكريم وغيره من الكتب السماوية التي أثبتت كلاماً للجمادات . وأهل الإيمان لا يلزمهم التسليم بكل ما يقرره من يلحد في أسماء الله وصفاته.

وأمّا ما زعمه من معنى الطاعة وتحقيق الرسالة فـــإنّ الآمــدي يبـــيّن بطلانـــه بقوله:"وأمّا ما أشاروا إليه في معنى الطاعة وتحقيق الرسالة فتمويه لا حاصل لـــه ، وإلا لزم أن يكون كل تسخير بفعل شيء ما أمراً وتركه نهياً، وأن يكون الانقيــاد إلـــى ذلـــك التسخير طاعة كان ذلك في نفسه عبادة أو معصية . ولا يخفي ما في طـــي ذلـــك مـــن المحال ، فإنه ليس كل ما يسخر به مأموراً، ولا كل ما انقاد العبد إلى فعله يكون طاعـــةً على ما يخفي. وإذا كان الأمر على هذه المثابة لم يصح معنـــى التبليـــغ والرســـالة عـــن الله..".[73]

ثالثاً : مناقشة معنى كلام الله عنده

وأمّا قوله بأنّ كلام الله عبارة عن فيض من العقل الفعّال على نفس النّبي، فيـــرد عليه بالآتي :

1- لو كان كلام الله هو ما يفيض به العقل الفعّال على نفس النّبي، لكـــان آحـــاد النـــاس مشاركاً للنّبي في هذا الأمر، فمن الناس من يرى في المنام أن الملائكة تخاطبه وتكلمـــه، وأنّه في السماوات .

2- لو كان كلام الله ليس له وجود في الخارج ، إنما يسمعه الرسول من نفسه بما يفـــيض فيها من العقال الفعّال، لما عاندت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبته في دعواه أنه رسول من رب العالمين أنزل الله عليه القرآن ، ليكون للناس هادياً ومبشراً ونذيراً.[74]

3- قال تعالى:(**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِـــنْ وَرَاءِ حِجَـــابٍ أَوْ يُرْسِـــلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ**) سورة الشورى:51، وقال: (**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**) سورة النساء:164، وقال:(**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّـــمَ اللَّـــهُ**) ســـورة البقرة:253، وهذه الآيات ونحوها أثبتت كلام الله تعالى لبعض رسله تكليمـــا وتكلـــيم الله لبعض عباده تكليماً خارجاً عن جنس الفيض – الذي زعمه الفلاسفة – الذي هو ضـــرب من الإيحاء العام.[75]

4- قال الله تعالى: **(وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنْ الْمُمْتَرِينَ)** سورة الأنعام : 114 ،أثبتت الآية الكريمة التنزيل صفةً للكتاب الذي هو كلام الله، والمنزل من الله تعالى لا يكون فيضاً من العقل الفعّال على نفس النّبي عليه السلام[76]

المطلب السابع :تفضيل الملائكة على الأنبياء

ذهب الفلاسفة ومنهم ابن سينا إلى تفضيل الملائكة على الأنبياء وإلى هذا الرأي ذهب المعتزلة وبعض الأشاعرة.([77]) واستدلّ الفلاسفة على مذهبهم بأدلة عقلية، منها:

1- الملائكة أرواح مجردة كمالاتها بالفعل، بخلاف النفوس البشرية، والتام أكمل من غيره.

2- الملائكة مطهرة من الشهوة والغضب،وهما مبدأ الأخلاق الذميمة،بخلاف الجسمانيات، فهي لا تخلو منها.

3-الملائكة بسائط، غير مركبة بأي نوع من التركيب،وأمّا الأنبياء فأجسام مركبة والبسائط أفضل من المركبات.

4-الملائكة نورانية علوية لطيفة، والأنبياء أجسام كثيفة مركبة من المادة والصورة، والمادة ظلمانية مانعة.

5-الملائكة لها قوة وقدرة على تصريف الأعمال الشاقة، كالزلازل والسحاب ونحوها ولا يلحقها فتور وضعف، بخلاف الجسمانيات.

6-الملائكة أفضل من جهة العلم والعمل، فمن جهة العلم: فلإحاطتها بالأمور الغائبة واطلاعها على مستقبل الأحوال الجارية، ومن جهة العمل: فلكونهم عاكفين على العبادة، والتسبيح ليلاً ونهاراً، ولا يفترون عن ذلك. وعلوم الملائكة كلية فعلية آمنة من الغلط، وعلوم الأنبياء غير ذلك تماماً، فمنها جزئية كسبية انفعالية، ولا تسلم من الغلط.

7-الملائكة روحانيات متعلقة بالهياكل العلوية النورانية، والنفوس الإنسانية متعلقة بالأجسام السفلية الفاسدة، ونسبة النفوس كنسبة الأجساد.([78])

المناقشة

يقول القرطبي: اختلف العلماء في التفضيل بين الملائكة وبني آدم علـــى قـــولين، فذهب قوم إلى أنّ الرسل من البشر أفضل من الرسل من الملائكة، والأولياء مـــن البشـــر أفضل من الأولياء من الملائكة. وذهب الآخرون إلى أنّ الملأ الأعلى أفضل...وقال بعض العلماء: ولا طريق إلى القطع بأنّ الأنبياء أفضل من الملائكة، ولا القطع بـــأنّ الملائكـــة خير منهم، لأن طريق ذلك خبر الله تعالى وخبر رسوله أو إجماع الأمة، وليس هـــا هنـــا شيء من ذلك.([79])

وأما الأدلة العقلية التي ذكرتها الفلاسفة مبنية على أصولهم الفلسفية التي لا يســـلم بها أهل السنة والجماعة.([80])

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن هنا غلط من غلط في تفضيل الملائكة علـــى الأنبياء والصالحين، فإنّهم اعتبروا كمال الملائكة مع بداية الصالحين ونقصهم، فغلطـــوا، ولو اعتبروا حال الأنبياء والصالحين بعد دخول الجنان، ورضى الرحمن، وزوال كل مـــا فيه نقص وملام، وحصول كل ما فيه رحمة وسلام، حتى استقر بهم القـــرار والملائكـــة يدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، فإذا اعتبـــرت تلـــك الحال ظهر فضلها على غيرهم من المخلوقين، وإلاّ فهل يجوز لعاقل أن يعتبر حال أحدهم قبل الكمال في مقام المدح والتفضيل والبراءة من النقائص والعيوب".([81])

يقول علي ابن أبي العز الحنفي: " فإنّ الواجب علينا الإيمان بالملائكـــة والنّبيـــين، وليس علينا أن نعتقد أيّ الفريقين أفضل، فإن هذا لو كان من الواجبات، لبيّن لنا نصاً، وقـــد قال تعالى: **(اليوم أكملت لكم دينكم)** المائدة:3. **(وما كان ربك نسياً)**سورة مـــريم:64، وفـــي الصحيح -يقصد الحديث الصحيح- "إنّ الله فرض فرائض فلا تضيّعوها، وحدّ حـــدوداً فـــلا تعتدوها، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نســـيان فـــلا تســـألوا عنها". فالسكوت عن الكلام في هذه المسألة نفياً أو إثباتاً، والحالة هذه أولى. ولا يقال: إنّ هذه المسألة نظير غيرها من المسألة المستنبطة من الكتاب والسنة، لأنّ الأدلة هنا متكافئـــة".([82]) ويضيف: "والأدلـــة فـــي هـــذه المسائل من الجانبين إنمّـــا تـــدل علـــى الفضـــل، لا علـــى الأفضلية، ولا نـــزاع فـــي ذلك..".([83]) وفي موضع آخر يقول:" وحاصـــل الكـــلام: أنّ هذه

المسألة من فضول المسائل، ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول، وتوقف أبو حنيفة رحمه الله في الجواب عنها".([84])

المطلب الثامن :أخبار الأنبياء

زعم ابن سينا أنّ ما جاءت به الأنبياء نوعان، الأول: الأمور العلمية، ومنها معرفة الله بأسمائه وصفاته والمعاد. وهذه الأمور لم يذكر الأنبياء حقائقها ، إنما أخبروا جمهور الناس بما يتخيلونه في ذلك لينتفعوا به في إقامة مصلحة دنياهم لا ليعرفوا الحق وهذا من جنس الكذب الجائز لمصلحة الناس، وهم يعلمون هذه المرتبة، فضربوا للناس الأمثال واستعملوا الرموز والإشارات.([85]) يقول ابن سينا تحت عنوان: " في إثبات النبوة وكيفية دعوة النّبي إلى الله والميعاد "،([86]) "بل يجب أن يعرفهم جلالة الله تعالى وعظمته برموز وأمثلة، من الأشياء التي هي عندهم عظيمة وجليلة، ويلقي إليهم منه هذا القدر، أعني أنّه لا نظير له ولا شبه ولا شريك.." ويضيف:" وكذلك يجب أن يقرّر عندهم أمر المعاد على أوجه يتصورون كيفيته وتسكن إليه نفوسهم، ويضرب للسعادة والشقاوة أمثالاً ممّا يفهمونه ويتصورونه، وأمّا الحقّ في ذلك فلا يلوح لهم منه إلا أمراً مجملاً...ولا بأس أن يشتمل خطابه على رموز وإشارات".

وفي رسالته"رسالة في إثبات النبوة وتأويل رموزهم "([87]) يوجب ابن سينا على النّبي أنّ يخاطب الناس بلغة الرموز الإيمائية ، وأن يسلك التمثيل والتخييل في ذلك ، تقريباً لإفهام العامة وترويضاً لعقولهم . وأما خاصة الناس فهم المعنيون بفهم الحقائق وتأويل الرموز وإدراك المعاني الباطنية التي وراء تلك الألفاظ التي استعملها الأنبياء. ومن ذلك قوله: " إن المشترط على النّبي أن يكون كلامه رمزاً وألفاظه إيماءً".

ولقد كان ابن سينا في ذلك متأثراً بالفلاسفة اليونان. وبخاصة أفلاطون. ولقد اعترف ابن سينا بذلك صراحة فقال:" وكما يذكر أفلاطون في كتابه النواميس أن مَنْ لم يقف على معاني رموز الرسل لم ينل الملكوت الإلهي، وكذلك جلة فلاسفة اليونان وأنبياؤهم كانوا يستعملون في كتبهم المراميز والإشارات التي حشَوا فيها أسرارهم كفيثاغورس وسقراط وأفلاطون...".([88])

وأمّا النوع الثانـــي : فهـــي الأمـــور العمليـــة– يقصـــد الشـــرائع والطاعـــات والنواهي – فهـــذه أخبروا عنها ، ويجب طاعتهم فيها والعمل بشرائعهم.([89]) وأنّ النبـــي عليه أن يعرِّف الناس العبادات التي تكـــون بهـــا القربـــى مـــن الله تعـــالى كالصـــلوات والصوم،وعليه أن يبين مصالح أخرى ومنافع دنيوية فـــي تقويـــة الســـنة مثـــل الجهـــاد والحج،وأن يعين لهم أفعالاً يقدمونها خالصة لله كالذبائح ونحوها.ويجب أن يسن للصـــلاة سنناً لابد من اتباعها ،وهى استعدادات يجريها الإنسان لملاقاة ربه تعالى مـــن الطهـــارة والنظافة، وقد جرت العادة أن يقوم بها عندما يقابل الرؤساء والملوك، ولابد من الخشـــوع والسكون،وهذا يتحقق بغض البصر وقبض الأطراف، وتـــرك الالتفـــات والاضـــطراب، وعلى النّبي أن يسنّ للإنسان في كل وقت من أوقات العبادة آداباً ورسوماً محمودة.([90])

ونجد ابن سينا في أخبار الأنبياء العلمية(الاعتقادية) يسير على نفس منهجه مـــن أنّ جمهور النّاس يعلمون من الأمور ظواهرها، ويجب على عـــاميتهم اعتقـــاد الظـــاهر، والعمل به، كما جاء في الشرع وأمّا الخاصة– وهم ابن ســـينا ومـــن علـــى نحـــوهم – فينظرون إلى بواطن الأمور لا إلى حقائقها، فالصلاة مثلاً –عند ابن سينا– تنقســـم إلـــى ظاهر وباطن فالظاهر منها : الطهارة والنظافة، والخشوع والســـكون، وتـــرك الالتفـــات والاضطراب،مع القيام والركوع والسجود، وما فيها من ســـنن وآداب، والبـــاطن منهـــا: المشاهدة الربانية التي تتحقق بمشاهدة الحق بالقلب الصافي، والنفس المجردة المطهرة عن الأماني، فالمشاهدة عنده عقلية، والعبادة عنده هي المحبة الربانية والرؤية الروحانية.([91])

المناقشة

– إنّ هذه الأقوال التي ذهـــب إليهـــا ابن ســـينا هي نفس ما ذهب إليه الملحدة الباطنيـــة كالإسماعيلية من أمثال إخوان الصفا، وملحدة الصوفيـــة كابن عربـــي وابـــن ســـــبعين الذين يرون أن لكل ظاهر باطن، وأنّ الأنبياء قصدوا تفهيم الجمهور ظواهر الأمـــور،وإن كانت مخالفة للحق .

– إنّ اتهام الأنبياء بالكذب على الجمهور هو من المعلوم من الدين بالاضطرار بطلانـــه، بل هو من الكفر الصريح ، فابن سينا وأمثاله لم يقدروا الله تعالى حق قدره، ولم يقـــدِّروا رسوله عليه السلام حق قدره، وفتحوا الباب على مصراعيه لكل الزنادقة والملحدة لإنكار

كل ما جاءت به الأنبياء والمرسلون من العقائد والشرائع بحجة أنّ ظواهرها غير مـــرادة، وإنما وردت على سبيل التمثيل والتخييل .

- إنّ مراد ابن سينا من هذه الأقوال الفاسدة الصدّ عن سبيل الله ، والصدّ عن فهم مـــراد رسول الله ﷺ وتصديقه فيما أخبر به. ولقد أخبر الله تعالى عن رسوله ﷺ أنّه بلّغ الـــبلاغ المبين وبين مراد الله تعالى، وفي أقوال ابن سينا قدح في بيـــان الله تعـــالى، وقـــدح فـــي الرسول الذي بلغ البلاغ الواضح المبين الذي هدى الله تعالى به العبـــاد وأخرجهم به مـــن الظلمات إلى النور، وفرّق الله به بين الحق والباطل، فأوضـــح بـــه الســـبيل وأنـــار بـــه الدليل.([92])

- إن ابن سينا يسلّم بأنّ الرسل من أعلم الخلق بالحقائق ، وأنهم مخصوصون بقوى قدسية يعلمون بها ما لا يتمكن غيرهم من العلم به، وأنهم من أبر الناس وأصدقهم، وما نسبه إلى الرسل من إخبار جمهور الناس بضروب من التمثيل والتخييل والكذب لمصلحتهم ينـــاقض ذلك، لذا كان ابن سينا من المتناقضين في أمر النبوات.([93])

المطلب التاسع :خصائص النبوة

ذهب ابن سينا إلى أن النبوة لها ثلاث خصائص، من قامت به فهو نبـــي، قـــال: "وأفضل الناس من استكملت نفسه عقلاً بالفعل، ومحصّلاً للأخلاق التـــي تكـــون فضـــائل عملية، وأفضل هؤلاء هو المستعد لمرتبة النبوة، وهو الذي في قواه النفسانية خصـــائص ثلاث..وهو يسمع كلام الله ويـــرى ملائكـــة الله تعـــالى، وقـــد تحولّـــت علـــى صـــورة يراها..".([94]) والخصائص الثلاث التي يمتاز بها النّبي عن غيره، هي:-

الأولى: أن تكون له قوة قدسية، وهي قوة الحَدْس ، بحيث يحصل له من العلم بسهولة مـــا لا يحصل لغيره، وبالتالي يكون له اطلاع على المغيبات الماضية والحاضرة والمســـتقبلة، وهذا أمر لا يستنكر، فإن من صفت نفسه صفاءً شديداً، وقويت قوة عظيمـــة بحيـــث لا تشغلها الحواس عن النظر إلى العالم العقلي فإنّه عند ذلك تستعد استعداداً خاصاً للاتصال بالعقول المفارقة-ومنها العقل الفعّال- بأدنى توجه، ويفيض عليها من علم الغيـــب مـــا لا يدرك بالفكر والقياس.

الثانية : قوة التخيل والحسّ الباطن: وهي التي يتخيّل بها في نفسه ما يعلمه، بحيث يتمثل له ما يعلمه في نفسه فيراه ويسمعه فيرى في نفسه صوراً نورانية هي عنـــد ابـــن ســـينا ملائكة الله، ويسمع في نفسه أصواتاً هي عندهم كلام الله، وهذا بأن تقـــوى نفـــس النّبـــي وتتصل في اليقظة بعالم الغيب، وتحاكي المتخيلة مـــا أدركتـــه الـــنفس بصـــورة جميلـــة وأصوات منظومة، فترى في اليقظة وتسمع. وليس هذا بمستنكر أيضاً فإنّه يحصل له في يقظته مثل ما يحصل للنائم في منامه، فالنائم يرى في نومه صوراً تكلمه، ويسمع كلامهم، وذلك موجود في نفسه لا في الخارج، وهذا من جنس ما يحصل لبعض أهل الرياضة من الصوفية، فإنّ من تجردّت نفسه عن الشواغل البدنية سهل عليها أن تتجـــذب إلـــى عـــالم القدس.

الثالثة : قوة نفسانية يتصرف بها في هيولي– مادة– العالم، وذلك بإحداث أمور غريبـــة، وهي عنده آيات الأنبياء ومعجزاتهم. فالنّبي بذلك تظهر منه مـــن الخـــوارق للعـــادة، لأنّ هيولي عالم العناصر مطيعة له ومنقادة لتصرفاته مثل انقياد بدنه لنفسه ، تماماً كالعائن – الذي يصيب الآخرين بعينه – فإنّ له قوة نفسانية يؤثر بها في المعين، وإذا كان أمر النّبي كذلك، فلا يبعد أن تقوى نفس النّبي حتى تحدث بإرادتـــه فـــي الأرض ريـــاح وزلازل، وكأن يزيل جبل عن مكانه، ويذيب جوهراً فيستحيل ماءً، ويجمد جسماً ســـائلاً ليســـتحيل حجراً، وغيرها من الأمور الخارقة للعادة، وهذا أيضاً ليس بمستنكر، فأهل الرياضة مـــن الصوفية ونحوهم تحدث منهم أمور عجيبة.([95])

المناقشة

أولاً : مناقشة ما ذكره في الخاصية الأولى

– إنّ الاطلاع على جميع المغيبات لا يجب للنّبي، وهذا هو اعتقاد جميع المسلمين، يقـــول الله تعالى حاكياً قول رسول الله عن نفسه :﴿**ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت مـــن الخيـــر وما مسّني السوء**﴾ الأعراف: 188.

– إنّ الاطلاع على بعض الغيب لا يخصّ النّبي فقط، فابن سينا يقول:إن أهـــل الرياضـــة والمرضى والنائمين يحصل لهم ذلك ، فأي ميزة وخاصية للنّبي إذاً على غيره من آحـــاد الناس.([96])

– إنّ النّبي عليه السلام لا يعلم الغيب من تلقاء نفسه، ولا باستعداد ذاتي، بل يعلم الغيب بواسطة أمين الوحي جبريل الذي يعلمه ما يأذن به الله عز وجل، وليس للقوة القدسية التي جعلها ابن سينا خاصية للنّبي علاقة بذلك. يقول الله تعالى في حق نبيه محمد ﷺ :﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون**﴾ آل عمران:44 ويقول:﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رَصَدا**﴾ الجن: 26-27.

ثانياً : مناقشة ما ذكره في الخاصية الثانية

* إنّ ما قاله ابن سينا في شأن الملائكة لا يتمشى مع مذهبه الفلسفي العام واعتقاده في الملائكة، فالملائكة عنده: إما نفوس مجردة عن المادة في ذواتها، متعلقة بأجرام الأفلاك ويسمونها ملائكة سماوية، وإما عقول مجردة ذاتاً وفعلاً، وتسمى بالملأ الأعلى، وليس لها كلام يسمع، لأنّ الكلام عندهم من خواص الأجسام. يقول الإيجي في الرد على الفلاسفة ومنهم ابن سينا:" قلنا: هذا تلبيس وتستر بعبارة لا يقولون بمعناها، لأنهم لا يقولون بملائكة يرون، بل الملائكة عندهم نفوس مجردة، ولا كلام لهم يسمع، لأنه من خواص الأجسام،ومآله إلى تخيل ما لا وجود له في الحقيقة، كما للمرضى والمجانين، على ما صرّحوا ".([97])

* إنّ الأدلة على وجود الملائكة كثيرة جداً، فنصوص الكتاب والسنة في هذا الجانب متواترة وهي تصرّح بما لا يدع مجالاً للإنكار: بأن الملائكة تجيء في صورة البشر، كما جاءت مريم وإبراهيم ولوط عليهم السلام، وتكليمهم للأنبياء إياهم وسماعهم كلامهم ورؤيتهم لهم على وجه الحقيقة، وكما حصل لنبينا محمد ﷺ ، بل وظهور جبريل حقيقة على صورة الصحابي دحية الكلبي، وقد رآه غير واحد من الصحابة واستمعوا إليه ، ثم إنّ أخبار نزول الملائكة لنصرة الأنبياء والأولياء وتأييدهم، وإخبار الله تعالى عنهم بأنهم عباد الله المكرمون وأنهم يسارعون في الخيرات، ولا يستكبرون عن عبادته، وأنهم يحملون عرش الله عز وجل ، ومنهم خزنة الجنة وخزنة النار، وما في القرآن والسنة

من ذكر أوصافهم وهيئاتهم وأصنافهم وأعمالهم كله صريح في بيان تهافت أقوال ابن سينا التي تلقّاها عن أسلافه من الفلاسفة الوثنيين.(98)

* إن أقواله تتضمن تكذيباً صريحاً للقرآن الكريم، وهذا من الكفر القبيح، فضلاً عن مخالفته مما يعلم بالاضطرار من دين المرسلين.(99)

* إنّ عامة الأمم وأهل الأديان يعترفون بوجود الأرواح الموجودة المنفصلة عن الآدميين من الملائكة والجن، والملائكة التي يثبتها الفلاسفة ويسمونها بالعقول فهي عند التحقيق لا توجد إلا في أذهان من أثبتها، ولا وجود لها في الأعيان.(100)

* إنّ زعمه بأن النّبي ﷺ يخيل له أنه يسمع في نفسه أصواتاً هي كلام الله، فباطل من عدة وجوه،منها:-

أ- إنّ قوله معناه إنكار الملائكة التي يسمع منها الرسول ، فالله عز وجل يرسل أمين الوحي جبريل إلى أنبيائه يوحي إليهم بإذن ربه ما يشاء، قال تعالى:﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء**﴾ الشورى :51، ففرّق الله سبحانه بين إرسال الرسول الذي يوحي بإذنه ما يشاء وبين الوحي، كما فرّق بين ذلك وبين التكلم في قوله تعالى:﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنّبيين من بعد**﴾ إلى قوله تعالى :﴿ **وكلّم الله موسى تكليما**﴾ النساء:163-164. ففرق بين الإيحاء العام المشترك بين الأنبياء وتكليمه لموسى عليه السلام ، كما فرّق بين الإيحاء وبين إرسال رسول يوحي بإذنه ما يشاء .

ب- إنّ ابن سينا يثبت فقط ما هو من جنس الوحي والإلهام عندما يقول بالقوة القدسية التي تفيض على نفس النّبي، بل الوحي والإلهام الذي أثبته الله تعالى فوق القوة القدسية التي يثبتها، والرسل لهم أحوال في السماع خارجة عن قوى النفس، وعن جنس الإيحاء العام والإلهام المشترك، إذ يسمعون كلام الملك المرسل إليهم، وتدل عليه آية الشورى السابقة، وقوله تعالى:﴿ **الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس**﴾ الحج :175.

ج- لقد أخبر الله تعالى أنّه يكلم البشر من وراء حجاب، وأن يكلِّم موسى عليه السلام تكليماً، وهذا يقتضي أنه يكلم بعض رسله تكليماً خارجاً عن جنس ما يحصل بالوحي والإلهام مما يتناول القوة القدسية وغيرها.(101)

د- يقول الله تعالـــى في قصـــة مريم:﴿ **فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً قال إنما أنا رسول ربك لأهب لـــك غلامـــاً زكيـــاً**﴾ سورة مريم:17-19. وقال تعالى:﴿ **ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيـــه من روحنا**﴾ سورة التحريم:12.

لقد أخبر الله تعالى أنّ هذه الروح تصوّر بصورة بشر سوي، وخاطب مريم ونفخ فيها، ومن المعلوم أنّ القوى النفسانية التي تكون في نفس النّبي وغيـــر النّبـــي لا يراهـــا الحاضرون، ولا تحدث منها مثل هذه الأحوال والأفعال والأقوال ، وعلى هذا يبطل قـــول ابن سينا أنّ النّبي يخيّل إليه أنّه يسمع في نفسه أصواتاً هي كلام الله، فالملك تمثـــل بشـــراً وخاطب مريم ، فأي عاقل يقول أن مريم سمعت كلامه من داخل نفسها وهو أمامها بشري سوي تراه وتسمع كلامه([102]) .

هـــ- يقول تعالى في حق جبريل عليه السلام : **(إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العـــرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين وما هو علـــى الغيـــب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم)** ســـورة التكوير:19-25. أخبـــر الله تعالـــــى أن الذي جاء بالقرآن – وهو من كلام رب العالمين – رسول كريم ، ذو قـــــوة عنـــــد ذي العـــرش مكين ، وأنه مطاع ثم أمين. ومن المعلوم امتناع أن تكون هذه الأوصاف للمَلَـــك الرسول صفات أعراض تقوم بنفس البشر سواء كان نبياً أو غيره ، وما كان كذلك امتنـــع أن يكون النّبي قد تخيل في نفسه أنه رآه وسمع منه كلام الله تعالى .

و- إذا كان النّبي لم يسمع كلاماً من خارج نفسه بل هذا تَخَيُّلٌ في نفسه كما زعم ابن سينا فهذا معناه أنّ الرسول من جنس آحاد المسلمين الذين يرون في المنام أنهم في الســـماوات، وأن الملائكة خاطبتهم ونحو ذلك ، ومثل هذا لا تكذب به قريش ولا أحد من الكفار .

ز- وإذا كان ابن سينا يزعم أن كلام الله هو ما يفيض على نفس النّبي من العقل الفعّـــال فإن هذا الزعم باطل وبيـــان ذلـــك : أن العقل الفعّال لا يمكن أن يتصور فـــي صـــورة أعرابي ولا دحية الكلبي ولا ضيف إبراهيم ولا لوط ، ولا في صورة بشر سوي فنفخ في مريم ، ولا يمكن أن يكون كما قال تعالى : ﴿ ذي قوة عند ذي العرش مكين مطـــاع ثـــمَّ

أمين﴾ لأن غاية العقل الفعّال عند ابن سينا أن يتحرك الفلك الأسفل تشبهاً به وأمـــا فـــوق ذلك فلا تأثير له فيه .

وأيضاً فلقد أخبر الله تعالى أن النّبي ﷺ رآه عند سدرة المنتهى ورآه بالأفق المبين مرتين، وجاء في الحديث الصحيح أنّ النّبي عليه الصلاة والسلام رأى جبريل في صورته التي خلق عليها مرتين وله ستمائة جناح منها جناحان ســدّ بهمـــا مـــا بـــين المشـــــرق والمغـــرب، ومَنْ كانت هذه أوصافه وأحواله استحال أن يكون هو العقل الفعّال كما يزعم ابن سينا.(103)

ثالثاً : مناقشة ما زعمه من أن معجزات الأنبياء هي نتيجة تأثير القوة النفسانية للنّبي

إنّ كون بعض النفوس أو غيرها من الأعيان قد جعل الله تعالى فيها من القـــوى والطبائع ما يحصل به بعض الآثار لا ينكر شرعاً ولا عقلاً، ولكن دعوى ابن سينا بـــأنّ معجزات الأنبياء هي من هذا الباب فبهتان عظيم وإفك أثيم . وأدلة بطلانه كثيـــرة جـــداً نذكر هنا بعضاً منها يفي بالغرض المطلوب :-

* إنّ المؤثر الوحيد في الوجود هو: الله تعالى الذي لا شريك لـــه فـــي ملكـــه وتـــدبيره وتصريفه لما في ملكه، ولم يثبت شرعاً ولو بدليل ضعيف هذا الكلام الذي زعمـــه ابـــن سينا، ثمّ إنّ المعجزات وخوارق العادات هي: كرامات يظهرها الله تعالى على يـــد النّبـــي برهاناً على نبوته وتصديقاً لما جاء به من ربه عز وجل، ولو كانت من تأثير نفسه كمـــا زعم ابن سينا لما كانت معجزة يتحدى بها الأولين والآخرين من الجن والإنس .

* لقد أثبتت نصوص القرآن صراحة أن الملائكة لها تأثير في العالم بالقول والفعل، ولكن بإذن الله تعالى وبمشيئته وقدرته، ومن ذلك تأييدها للأنبيـــاء بالنصـــر والتأييـــد وإنـــزال السكينة، وهذا يبطل قول ابن سينا أن المؤثر في العالم هو القـــوى النفســـانية أو القـــوى الطبيعية ، فإن الملائكة خارجة عن هذا وهذا .

* إنّ ابن سينا لم يدلل على مزاعمه بدليل صحيح، فقوله بلا علم ولا دليل، وعامـــة مـــا يعتمد عليه التجويز الذهني، والعقائد والمغيبـــات لا تثبـــت بمثـــل ذلـــك، ولا ريـــب أنّ معجـــزات الأنبيـــاء مما أجمـــع النـــّاس على أنّ قـــوى النفوس لا تقتضـــيها، فالنّـــاس يعلمون بالمشاهدة والأخبار المتواترة والدلائل اليقينية حدوث خوارق للعادات كثيرة، ليس

لها علاقة بنفوس بني آدم، لا نفوس أنبياء ولا غيرهم، كزلزلة الأرض ونزول المطر من السماء، وأخذ القرى الظالمة .

* إن تأثير النفوس في الأجسام لا يختص بالنّبي، فمثلاً الجن تفعل كثيراً مــن الغرائــب والأعاجيب ، ومن ذلك حملها لبعض الناس وطيرانها بهم في الهواء، وسرقة أنواع مــن الأطعمة وإتيانها بها للكهنة وإخبارهم بالأمور الغائبة. وهذا ما يعلمه كثيــر مــن النــاس والجن ليست قوى نفسانية، فمن الناس من شاهدها، ورآها – أحياء ناطقين منفصلين عــن الإنسان– ، أو ثبت ذلك عنده بالأخبار الصادقة .

* إنّ الملائكة ثابتة آثارهم وأفعالهم في العالم، وأخبارهم في ذلك متــواترة عنــد أتبــاع الأنبياء ، ومعلومة بالمعاينة والمشاهدة ، وهذا من أعظم الأدلة على بطــلان دعــوى أن المعجزات والكرامات والسحر هي قوى نفسانية .

* إنّ تأثير قوى النفس لا يبلغ مبلغ معجزات الأنبياء ، فإنزال ماء الطوفان الذي أغــرق أهل الأرض وإرسال الريح العقيم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً التي أهلكــت قــوم عــاد واقتلعت قرى قوم لوط وقلبتها حتى أهلكتهم، وإرسال الطير الأبابيل بحجارة من ســجيل لهــلاك أبرهة الحبشي وأصحابه عام الفيل وإنزال المن والسلوى على بني إسرائيل زمن موسى عليه السلام، وفلق البحر، وتفجّر الماء كل يوم من الحجــر اثنتــي عشــر عينــاً، وانشقاق القمر، واهتزاز العرش، وخروج الناقة العظيمة من الصخــرة وإنــزال المائــدة من السماء، لا يمكن أن يقول عاقل أنّ هذه وأمثالها من تأثيــرات القــوى النفسانية عنــد الأنبياء، بل كلّ عاقل يعلم أنّها من فعل فاعل مختار يفعل بمشــيئته وقدرتــه، وبحســب مشيئته وحكمته،وأنّه هو الله رب السماوات والأرض، ورب كلّ شيء ومليكه .

* إنّ الأنبياء عليهم السلام قد أخبروا بأنّ خوارق العادات – المعجزات المؤيدة لــدعوى النبوة – ليست في مقدور البشر، فمن زعم أنّها من تأثير قوى النفس كان مكذباً للأنبيــاء فيما أخبروا به، والأنبياء عليهم السلام أخبروا بوجود الملائكة والجن، وأنها أحياء ناطقــة قائمة بأنفسها، ليست أعراضاً قائمة بغيرها، وأخبروا بأنّهم يفعلون أفعالاً خارجة عن قدرة البشر، ومن ذلك مجيء الملائكة إبراهيم عليه السلام في صورة رجال نكرهم ولم يعرفهم حتى ظن أنهم ضيوف، ثم إخبارهم له بأنهم ملائكة وبشروه بإسحاق، ثم أخبــروه بــأنهم

ذاهبون إلى قوم لوط من أجل إهلاكهم بأمر الله تعالى. ومن زعم أنّ مثل هذا من قـــوى النفس فقـد كذّب القرآن الكريم وكذّب الأنبياء فيما أخبروه به، وهذا فـي غايـة الكفـر الصريح والعياذ بالله تعالى.

ومن معجزات الأنبياء ما لا يكون النّبي شاعراً به، ومنها ما لا يكون مريداً لـه، وهذا لا يكون من فعل نفسه، ومنها ما يكون قبل وجوده، ووجود قدرته، ومنها ما يكـون بعد موته ومفارقته لهذا العالم. ومن المعلوم أن أمثال هذه المعجزات خارجة عن مـزاعم ابن سينا في تأثير القوة النفسانية للنّبي.ومن هذه المعجزات : قصة أصحاب الفيـل التـي حدثت حين مولده ﷺ، وأخبار الكهان وأهل الكتاب عن نبوته وإخبار الأنبيـاء السـابقين المتقدمين عن نبوته ورسالته، وانتشار دعوته عليه الصلاة والسلام في مشـارق الأرض ومغاربها كما أخبـر هـو عن ذلك، وحفظ الله تعالى للكتاب الذي أنزله عليه، وما جعله الله تعالى في القلوب من محبته وتعظيمه، والعلم بمنزلته وعلو درجته ومكانته، وانتصـار أوليائه، وهزيمة أعدائه.([104])

الخاتمة

* من خلال دراسة قضايا النبوة عند ابن سينا تبين لنا أنّ ابن سينا صار على منهجه في التوفيق بين الفلسفة والدين، ولكنه كان متمسكاً بالفلسفة تمسكاً يزيد على تمسـكه بالـدين، وهو يعبر عن قوة منزلتها في نفسه، ولذا نجده يضحي بالمبدأ الديني، ويحرّف النصوص الشرعية، مع محافظته على ما تلقفه من الفلاسفة اليونان، ومن أمثلة ذلك: إقحامه نظريـة الفيض التي قال بها أفلوطين في موضوع الوحي وكلام الله تعـالى، وتعريفـه للرسـالة والرسول، وكيفية تلقي الأنبياء الخبر من الله عز وجل، وعلاقة ذلك بالعقل الفعّال، أحـد العقول العشرة التي تحدّثت عنها نظرية الفيض.

* إنّ ابن سينا ينكر صفة الكلام الثابتة لله بالكتاب والسنة، وينكر أنّ الله يكلم أنبياءه بكلام حقيقي، وأنّ النّبي يسمع كلام الله حقيقة من الملك جبريل، وأنه يراه حقيقة، فالوحي عنـد ابن سينا يرجع إلى قوة التخيل عند النّبي، وبها يستطيع النّبي أن يشكل الصور العقليـة– التي هي الملائكة عند الفلاسفة– في صورة المحسوس، وأنّ النّبي يسمع كـلام الله مـن سماء عقله ثم يحيله إلى ألفاظ وعبارات يسمعها لغيره.

موقف ابن سينا من النبوة والأنبياء

* إنّ ابن سينا أحسن في بيان الحاجة إلى النبوة، وأنّها ضرورية، وأنّ وجود النّبي أكثـــر حاجة من وجود كثير من المنافع الدنيوية، وأنّه لولا النبوة لما كان هنـــاك بقـــاء للنـــوع الإنساني.

* من الأغاليط المنكرة التي وقع فيها ابن سينا زعمه كغيـــره مـــن الفلاســـفة أنّ النبـــوة مكتسبة، وتنال بالرياضة الصوفية، وقد ذهب أهل العلم بتكفيـــر مـــن زعـــم أنّ النبـــوة مكتسبة.

* ومن الأغاليط أيضاً الزعم بأنّ العمدة في إثبات النبوات: المنامات، بقياس ما يوحى إلى النّبي بما يراه الإنسان في نومه، مع أنّ الأدلة التي تثبت بها النبوة أعظم من ذلك وأكثـــر، وقد أشارت النصوص الشرعية إلى بعضها، وذكر أهل العلم كثيراً مـــن الأدلـــة النقليـــة والعقلية وليست الأحلام والمنامات واحداً منها.

* لقد قال ابن سينا منكراً من القول وزوراً عندما زعم أنّ الأنبياء سلكوا طريق التمثيـــل والتخييل، وأنّه يجب عليهم استعمال الرموز والإشارات، في تفهيم جمهور الناس خطـــاب الشارع المتعلق بالعقائد، وأنّ الظاهر من النصوص الشرعية غير مرادة،وليست مطلوبـــة لذاتها. وفي هذا اتهام للأنبياء بالكذب،وأنّهم لم يبلغوا البلاغ المبين، بل في ذلك قدح فـــي بيان الله تعالى، الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، يفهمه جمهور الناس فضـــلاً عـــن علمائهم، وقد فتح ابن سينا وإخوانه الفلاسفة الباب للزنادقة والملحدين، كي يقولوا عن كل عقيدة لا تستسيغها عقولهم أنها غير مرادة بحسب ظواهرها، إذ الظاهر رموز وإشـــارات وأنّ الأنبياء ذكروها على سبيل التمثيل والتخييل.

* لقد زعم ابن سينا أنّ النبوة لها ثلاث خصائص، وأنّ من وجدت فيه كان نبيـــاً، وهـــي القوة القدسية والقوة النفسانية، وقوة التخيل، وقد ذكر في تفسيره لكل منها كلاماً طـــويلاً، يتفق وأصوله الفلسفية ومنهجه الفلسفي، المتأثر فيه إلـــى حـــد بعيـــد بالفلســـفة اليونانيـــة ونظرياتها الخيالية، ومنها نظرية الفيض، وقد بين علماء الإسلام فسادها، وفساد ما يلـــزم عنها.وأنها مناقضة للعقائد الدينية، وتؤدي إلى إنكار المعلوم من الدين بالضـــرورة، مـــن وحي الله إلى أنبيائه، والمعجزات والملائكة والجن، والمعاد وما فيه مـــن نشـــر وحشـــر وحساب، والصراط والميزان، وما أعدّه الله تعالى لعباده من ألوان النعيم المادّي، وما أعده

لأهل الكفر والعصيان من العذاب الماديّ المحسوس. وأنّ هذا من الكفر القبيح التي جرته الفلسفة على أصحابها.

* إنّ كثيراً ممّا دونه ابن سينا في باب النبوات –وغيرها– ليس فيه ما يروي غلــيلاً ولا يشفي عليلاً، ولا يكسب القلب إيماناً ويقيناً، بل يعمل على إضعاف سلطان العقيــدة علــى القلوب، وإزالة قدسيتها من النفوس.

والله تعالى نسأل السداد والتوفيق لما يحبه ويرضاه.

الحواشي والمصادر

([1]) في رسالته: نكت في أحوال الشيخ الرئيس ابن سينا، تحقيق الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، منشورات المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة 1952م ص10.

([2]) انظر ترجمته: عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ابن أبي أصـــيبعة، مكتبـــة الحيـــاة- بيـــروت- 1965م ص437-459، تاريخ الحكماء: ابن القفطي، طبعة ليبزج، ألمانيا 1903م ص وما بعدها 413، ظهير الـــدين البيهقي:تاريخ حكماء الإسلام، تحقيق محمد كرد علي، المجمع العلمي العربي- دمشق- مطبعة الترقي 1946م ص52-72.

([3]) الرد على المنطقيين: أحمد ابن تيمية،إدارة ترجمان السنة-لاهور، باكستان- 1396ه-1976م، ص141-142 مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن محمد بن قاسم، مكتبـــة النهضـــة الحديثة- مكة المكرمة 133/9.

([4]) الردّ على المنطقيين ص144-145.

([5]) مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي_ بيروت- ص515.

([6]) رســـالة في إثبـــات النبوات وتأويل رموزهم – ضمن مجموعة تسع رسائل في الحكمة – لابن سينا – مطبعة هندية- مصر- 1326ه- 1908م، ص124.

([7]) العقل الفعّال عند الفلاسفة: هو جوهر بسيط مجرد من المادة وعلائقها،المخرج لنفوس الآدميين في العلـــوم من القوة إلى الفعل،ونسبته إلى المعقولات والقوة العاقلة، نسبة الشمس إلى المبصرات والقوة الباصرة، إذ بهـــا يخرج الإبصار من القوة إلى الفعل. انظر معيار العلم : أبو حامد الغزالي: تحقيق د. سليمان دنيا، دار المعارف بالقاهرة ص289، المعجم الفلسفي: د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني – بيروت- الطبعـــة الأولـــى 1973م 84/2-85.

([8]) انظر شرح العقيدة الطحاوية على بن علي بن أبي العز الدمشقي الحنفي، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه الدكتور عبد الله التركي وشعيب الأرنؤط، مؤسسة الرسالة-بيـــروت- الطبعـــة الأولـــى1408هــــ-1988م 411/2-412، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضـــية: محمد بن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي،بيروت، مكتبة أسامة، الرياض، الطبعة الثانية 1405هــ-1985م 49/1

([9]) انظر النبوات: ابن تيمية،تحقيق محمد عبد الرحمن عوض، الطبعة الأولى 1405ه- 1985م، دار الكتـــاب العربي- بيروت- ص 181-182.

([10])انظر بغية المرتاد 384/1.

([11]) الصفدية288/2.

([12]) انظر مجموع الفتاوى540/6.

([13]) انظر المصدر السباق 120/12، 222/15.

([14]) المصدر السابق ص123-124.

([15]) نقلاً عن ابن سينا بين الفلسفة والدين: الدكتور حمودة غرابه، مجمع البحوث الإسلامية-القاهرة-1392ه-1972م هامش ص133.

([16]) الرسالة العرشية: ابن سينا ص12.

([17]) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد لابن تيميـــة – مكتبـــة العلـــوم والحكم – الرياض – ط3 ، 1415هـــ – 1995م – مقدمة المحقق د. موسى الدويش ص 72 .

([18]) الرد على المنطقيين ص 277.

([19]) وملخص هذه النظرية: أنّ الموجودات صدرت عن الأول على هيئة فيض، بتوسط العقل الأول الصـــادر عنه مع بقية العقول التي صدرت بعضها عن بعض، وأن الأول -الذي هو الواحد الحق- يفع بعـــض أفعالـــه بذاته، وبعضها بتوسط أشياء، وأنّ هناك خمس مراتب للموجودات، وهي: 1- الأول الواحد من كل جهة، وهو واحد محض بسيط لا كثرة فيه، وهو فوق التمام والكمال. 2- العقل: وهو من إبداع الأول، وقد صدر عنه من غير واسطة،وبعد أن أبدع الأول العقل التفت هذا العقل إلى الأول مبدعه، فوقع بصره عليه فامتلأ منه نـــوراً وبهاءً، فأفاض الأول عليه قوى كثيرة، ثم صدرت عن الأول جميع الأشياء التي في العالم العلـــوي والســـفلي، ولكن بتوسط العقل- الصادر عنه من غير توسط- والعالم العقلي. 3- النفس الكلية: وقد صدرت عن العقـــل الأول لما صار قوة عظيمة. وهي أقل مرتبة من العقل، لأنها مبدعة عنه، وفي الإبداع نقصان. 4- الطبيعـــة: وقد صدرت عن النفس الكلية لما تحركت علواً نحو علتها فامتلأت نوراً وقوة، وتحركت سفلاً، فكان صـــدور الطبيعة عنها. 5- الأشياء الواقعة تحت الكون والفساد: وهي العالم السفلي بما فيـــه مـــن النبـــات والحيـــوان والجماد. وهي آخر الأشياء صدوراً وأدناها مرتبة، وقد صدرت بتوسط الطبيعة. انظر:عبد الـــرحمن بـــدوي: أفلوطين عند العرب، مكتبة النهضة، الطبعة الثانية 1966م، الميمرالأول ص6، الميمرالعاشـــر ص134 ومـــا بعدها،عبد الفتاح أحمد فؤاد: ابن تيمية وموقفه من الفكر الســـلفي،دار الـــدعوة للطبـــع والنشـــر والتوزيـــع- الإسكندرية- الطبعة الثانية 1987م ص 187-188.

([20]) سبق التعريف به ص 4.

([21]) انظر نظرية الفيض التي قال بها ابن سينا في كتبـــه: النجـــاة ص 274-278،الهدايـــة ص 274-278، للرسالة النيروزية ص 93-94. أبو البركات البغدادي: المعتبر في الحكمة الإلهية 2/148-151، أبـــو حامـــد الغزالي: تهافت الفلاسفة 143-146. عبد الفتاح أحمد فؤاد: ابن تيمية وموقفه من الفكر السلفي187- 190.

([22]) النجاة لابن سينا، دار الآفاق الجديدة – بيروت- الطبعة الأولى:1405ه- 1985م- تحقيق د. ماجد فخري ص339

([23]) المصدر السابق ص343.

([24]) آراء أهل المدينة الفاضلة: أبو نصر الفارابي،تصحيح عبد الوصيف محمد الكردي، مكتبة الحسين التجارية بمصر، مطبعة حجازي بالقاهرة ص 87 ، 88.

(25) النجاة: ابن سينا – دار الآفاق الجديدة – بيروت – ط1 ، 1405هـــ – 1985م ص339.

([26]) انظر المصدر السابق ص 339.

([27]) انظر المصدر السابق ص 339 .

([28]) مجموع الفتاوي 93/19-96.

([29]) مفتاح دار السعادة، مطبعة صبيح، القاهرة 2/2.

([30]) انظر الاقتصاد في الاعتقاد: أبو حامد الغزالي، طبعة 1962م ص175.

([31]) اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، مطبعة السنة المحمدية 1369ه ص409-410.

([32]) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية - مصدر سابق- 258/2-295.

([33]) انظر الرد على المنطقيين- مصدر سابق- ص277. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية- مصدر سابق- 267/2.

([34]) الإشارات والتنبيهات :ابن سينا، تحقيق الدكتور سليمان دنيا، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة 243/3.

([35]) المصدر السابق 220/3

([36]) انظر لوامع الأنوار البهية-مصدر سابق- /267-277

([37]) الصفدية- بتصرف- ابن تيمية 229/1 .

([38]) منهاج السنة النبوية 416/2-417.

([39]) لوامع الأنوار البهية-مصدر سابق- /268.

([40]) الإشارات والتنبيهات-مصدر سابق- 899/4-900، الرد على المنطقيين-مصدر سابق- ص 484-486، الصفدية:أحمد بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية 1406ه،1 /6-7.

([41]) انظر في الفلسفة الإسلامية-منهج وتطبيقه-: مدكور، دار المعارف- القاهرة- الطبعة الثالثة،101/1، الجانب الإلهي في فلسفة ابن سينا: الدكتور سالم مرداش، دار قتيبة- دمشق- الطبعة الأولى 1412ه-1992م،ص294.

([42]) الإشارات والتنبيهات-مصدر سابق- ص241-242.

([43]) انظر الشفاء : ابن سينا ، تحقيق جورج قنواتي،وسعيد زايد، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة 1975م-338/1

([44]) انظر المصدر السابق 336/1-338، الإشارات والتنبيهات- مصدر سابق- 135/2-137.

([45]) انظر الشفاء-مصدر سابق-334/1.

([46]) – رسالة الفيض الإلهي: ابن سينا، صورة موجودة بدار الكتب الأهلية بالقاهرة أخذت عن نسخة محفوظة موجودة بالمتحف البريطاني رقم 394.

([47]) رواه النسائي في السنن الكبرى رقم (765) ،390/4.

([48]) رواه البخاري رقم(6982)كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة

([49]) فتح الباري شرح صحيح البخاري:ابن حجر العسقلاني تصحيح وتعليق الشيخ عبد العزيز ابن باز، نشـــر وتوزيع رئاسة إدارات لبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد –الرياض– 27/1.

([50]) رواه البخاري رقم(6988،6987)كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جـــزءاً مـــن النبوة.

[51]) رواه مسلم رقم (2265) في كتاب الرؤيا في فاتحته.

[52]) انظر الشفاء– مصدر سابق– 338/1

([53]) فتح الباري 20/1.

([54]) انظر قول المازري والقرطبي في: فتح الباري 352/12

([55]) انظر الرد على المنطقيين– مصدر سابق– ص485– 486.

([56]) تهافت الفلاسفة: أبو حامد الغزالي، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، دار المعارف– القاهرة– الطبعة الثامنة ص229.

([57]) انظر المواقف في علم الكلام: عضد الدين عبد الرحمن الإيجي، عالم الكتب– بيروت– ص356–357

([58]) الصفدية 142/1.

(59) انظر:الرسالة العرشية – ابن سينا – ص12، رسالة في النبوات له، ص75 ، الاقتصاد في الاعتقاد: أبو حامد الغزالي،دار الكتب العلمية– بيروت– الطبعة الأولى،1403ه–1983م، ص84، نهاية الإقدام فـــي علـــم الكلام:محمد عبد الكريم الشهرستاني،تحقيق الفرد جيوم، ص293 ، مجموع الفتاوى:ابن تيميـــة، 14/12، 23، 163، 351–353، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية: احمد عبد الحليم بن تيميـــة، تحقيـــق محمد رشاد سالم،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى،1406ه–1986م،359/2، الصفدية– مصدر سابق– 201/1–204، مجموع الرسائل والمسائل:أحمد عبد الحليم بن تيمية، تعليق محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي، القاهرة، 38/3، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان:محمد بن قيم الجوزية، تحقيق محمـــد حامد الفقي، دار الكتيب العلمية–بيروت– الطبعة الأولى 1407ه–1987م، 281/2، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: محمد بن علي الموصلي، توزيع رئاسة إدارات البحوث العلميـــة والإفتـــاء والـــدعوة والإرشاد– الرياض– 288/2، 329، شرح القصيدة النونية لابن قيم الجوزية، محمد خليل هـــراس، مطبعـــة الإمام، القاهرة،131/1، شرح العقيدة الطحاوية 402/2–403.

(60) الرسالة العرشية ص 12 .

(61) . لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية:–مصدر سابق– ص170، ابن تيمية السلفي– نقد لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلهيات–: الدكتور محمد خليل هراس، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمـــة، دار الكتب العلمية– بيروت– الطبعة الأولى 1404ه–1984م، ص114.

(62) انظر: رسائل في الحكمة والطبيعيات – رسالة في إثبات النبوات وتأويل رموزهم وأمثـــالهم– مصـــدر سابق– ص84–85.

(63) مختصر الصواعق المرسلة– مصدر سابق– 288/2.

(64) غاية المرام في علم الكلام: سيف الدين الآمدي، تحقيق حسن محمود الشافعي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث- القاهرة -1391ه-1971م- بتصرف - ص92.

(65) المصدر السابق - بتصرف - ص93-94.

(66) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية : أحمد عبد الحليم بن تيمية، قدّم له وعرّف به الشيخ حسنين محمد مخلوف، دار الكتب الحديثة- القاهرة-1385ه-1965م، ص73 ، مجموع الرسائل والمسائل - مصدر سابق- 44/3-45.

(67) انظر: ابن حزم وموقفه من الإلهيات- عرض ونقد- :الدكتور أحمد ناصر الحمد،جامعة أم القرى الطبعة الأولى 1406ه، ص257-258 ، القائد إلى تصحيح العقائد:عبد الرحمن المعلمي، علّق عليه محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت- الطبعة الثالثة،1404ه-1984م، ص220.

(68) رواه البخاري 140/8، في الرقاق - باب من نوقش الحساب عذب، ونحوه 34/2، في الزكاة - باب الصدقة قبل الرد ، ونحوه 181/9، في التوحيد ، باب كلام الرب يوم القيامة، ومسلم نحوه رقم 1016، 703/1-704 في الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشقٍّ تمره.

(69) رواه البخاري تعليقاً بصيغه المبني للمجهول، 72/9، في التوحيد ، باب قول الله " ولا تنفع الشفاعة عنده " وذكره بالجزم 29/1 في العلم، باب الخروج في طلب العلم ، فقال : " رحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد ". ورواه البخاري موصولاً في الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة- 1375ه، رقم 970، باب المعانقة، ورواه بلفظ التعليق في خلق أفعال العباد والرد على الجهمية، تحقيق وتعليق محمد السعيد بسيوني، مكتبة التراث- القاهرة، رقم 69، ص23 ، موصولاً رقم 365، ص137، رواه أحمد في المسند، تحقيق أحمد شاكر، المكتب الإسلامي- طبعة المعارف- القاهرة- 1965م-1374ه، 1946-1955م،395/3، وحسَّن إسناده الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ضبط وتعليق مصطفى محمد عمارة، دار التراث العربي- بيروت- الطبعة الثالثة 1388ه-1968م، 404/4، في ذكر الحساب وغيره، ورواه الحاكم في كتاب الأهوال، 574/4-575، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه ، ووافقه الذهبي، ورواه ابن أبي عاصم في السنة،(ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني) المكتب الإسلامي- بيروت - الطبعة الأولى 1400ه- 1980م، ص514، قال الألباني في تخريج السنة : حديث صحيح .

(70) انظر: ما رواه مسلم، رقم 2277، 1782/4، في الفضائل ، باب فضل نسب النّبي صلى الله عليه وسلم - وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، وما رواه الترمذي ، رقم 3628، 246/9، 246/9 في المناقب، باب في إثبات نبوة النّبي صلى الله عليه وسلم وما خصه الله به ، قال الترمذي. هذا حديث حسن غريب، رقم 3630، 247/9 في المناقب، باب الشجر والحجر يسلمان على النّبي صلى الله عليه وسلم .

(71) انظر: ما رواه البزار في كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة: علي بن أبي بكر الهيثمي،تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة- بيروت- الطبعة الأولى 1404ه-1984م، رقم 2413، 135/3- 136، في علامات النبوة، باب تسبيح الحصى - قال الهيثمي رواه البزار بإسناد ين، ورجال

أحدهما ثقات، وفي بعضهم ضعف 299/8 وذكر رواية في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 179/5، ثم عقَّب عليها بقوله : وله طريق أحسن من هذا في علامات النبوة، وإسناده صحيح، وانظر : دلائل النبوة لأبي نعيم، حيــدر آباد الدكن– الهند– الطبعة الثالثة 1397ه–1977م، 369–370، وشرح اعتقاد أصول أهل الســنة والجماعــة للالكائي 406/4–407.

(72) انظر: شرح العقيدة الطحاوية– مصدر سابق– 175/1–176 ، قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر لصديق :محمد صديق حسن خان،تحقيق وتعليق وتقديم عاصم بن عبد الله القريوتي– شركة الشرق الأوسط للطباعــة– الأردن– الطبعة الأولى 1404ه–1984م، ص79–80، القائد إلى تصحيح العقائد– مصدر سابق– ص220.

(73) غاية المرام في علم الكلام– مصدر سابق– ص101.

(74) انظر: الصفدية 201/1 .

(75) انظر: المصدر السابق 204/1–205 .

(76) انظر: مجموع الفتاوى : 120/12 .

(56) انظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أبو الحسن الأشعري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية –القاهرة – الطبعة الثانيــة 1398ه– 1969م 296/1. محصــل أفكــار المتقــدمين والمتأخرين : فخر الدين الرازي، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهريــة– القــاهرة– ص 322. المواقف: عضد الدين الإيجي– مصدر سابق– ص367.

([78]) انظر محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين–مصدر سابق– ص 221–222.والمواقف للإيجــي– مصــدر سابق– ص368.

([79]) تفسير الجامع لأحكام القرآن:أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي– بتصــرف–،دار الكتــب المصــرية– القاهرة، الطبعة الثالثة 1387ه– 1967م،289/1 –290.

([80]) انظر المواقف –مصدر سابق– 368.

([81]) مجموع الفتاوي 300/10، وانظر المصدر نفسه95/11.

([82]) شرح العقيدة الطحاوية: بن أبي العز الدمشقي الحنفي– مصدر سابق– 2 /411–412.

([83]) المصدر السابق2 /413.

([84]) المصدر السابق2 /423.

([85]) انظر الأضحوية في المعاد: ابن سينا، تحقيق الدكتور حسن عاصي، المؤسسة الجامعية للدراسات النشــر والتوزيع– بيروت– الطبعة الثانية 1407ه–1987، ص 97–103، الرد على المنطقيين– مصدر ســابق– ص 442،الصفدية– مصدر سابق– 202/1، درء تعارض العقل والنقل: أحمد عبد الحليم بن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– الرياض– الطبعة الأولى 1401ه–1971م،8/1–9.

([86]) في كتابه النجاة– مصدر سابق– ص 340.

([87]) مصدر سابق ص 124.

([88]) في كتابه النجاة – مصدر سابق– ص124–125.

(89) النجاة لابن سينا ص 341–343 ، الرد على المنطقيين لابن تيمية ص 442 .

(90) انظر النجاة ص 341–342.

(91) انظر النجاة ص 342 ، رسالة في الصلاة: ابن سينا – ضمن جامع البدائل – مطبعة السعادة – القاهرة – 1917م .

(92) انظر درء تعارض العقل والنقل– مصدر سابق– 10/1–11، 19–24 .

(93) الصفدية 203/1 .

(94) النجاة –مصدر سابق– ص334.

(95) انظر هذه الخصائص: الإشارات والتنبيهات– مصدر سابق– 871/4، 899–901، النجاة – مصدر سابق–ص334–335، الملل والنحل للشهرستاني– مصدر سابق–74/3–75، المواقف – مصدر سابق– ص 337، 338 الصفدية– مصدر سابق– 5/1–7، مجموع الفتاوى لابن تيمية– مصدر سابق– 229/11، 354/12، درء التعارض لابن تيمية– مصدر سابق– 355/5–356..

(96) انظر المواقف– مصدر سابق– ص337.

(97) المصدر السابق ص338.

(98) انظر هذه الردود بالتفصيل : الرد على المنطقيين لابن تيمية 490–500 .

(99) انظر الصفدية– مصدر سابق– 231/1 .

(100) انظر المصدر السابق 241/1 .

(101) المصدر السابق – بتصرف يسير – 203/1–205 .

(102) انظر المصدر السابق 197/1–198 .

(103) انظر المصدر السابق 201/1 .

(104) انظر هذه المناقشة لمزاعم ابن سينا مع زيادة تفصيل في كتاب الصفدية لابن تيمية 163/1–236 .